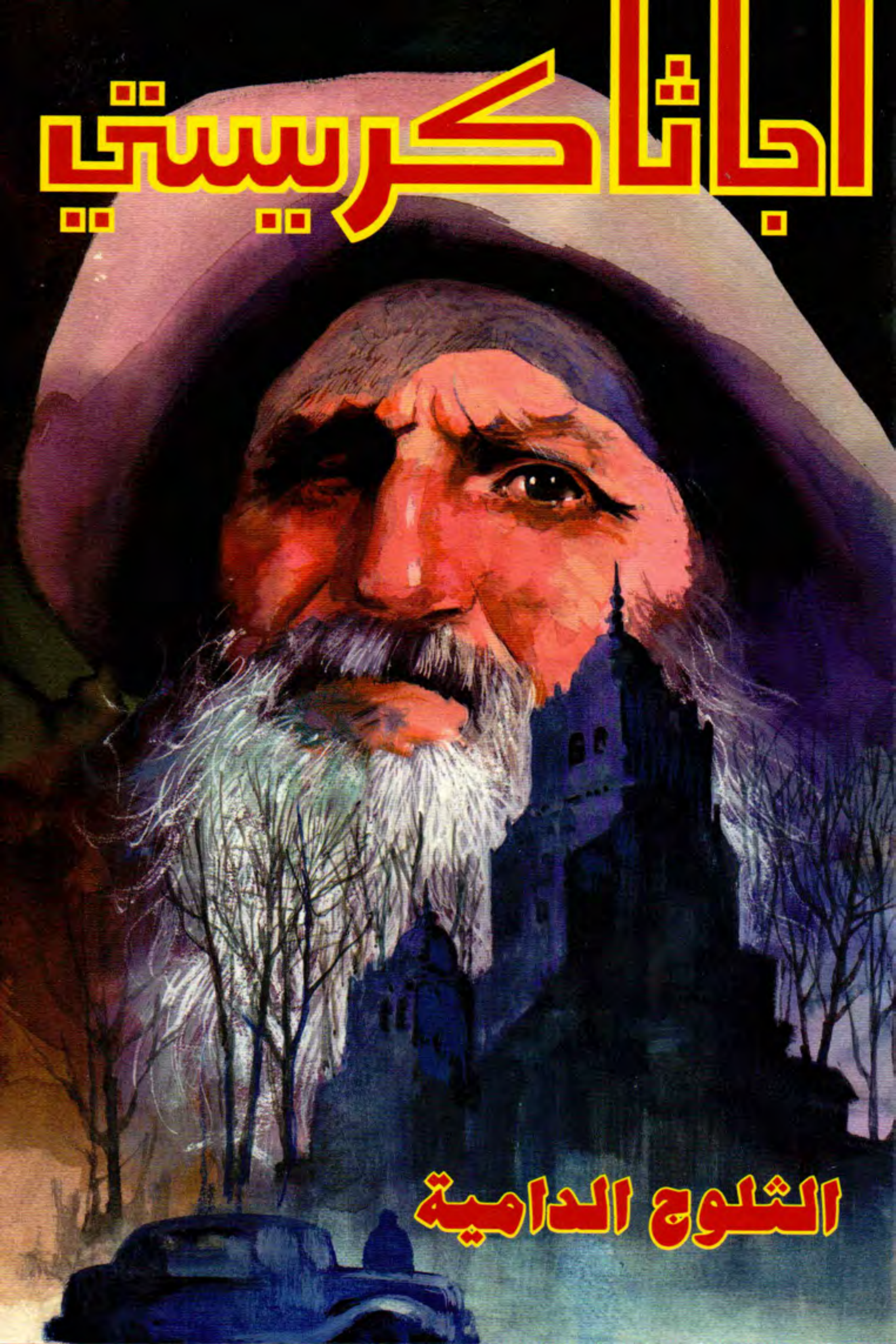

اجاثا كريستي
الثلوج الدامية



أجاثا كريستي

□ الكاتبة التي ترجمت رواياتها إلى 103 لغات.

□ بيع من كتبها أكثر من 650 مليون نسخة باللغة الإنجليزية وحدها.

□ كاتبة روايات بوليسية، ولدت في جنوب غرب إنجلترا من أب أميركي وأم إنجليزية، لكنّها تقول " إني إنجليزية ". تتميز عن جميع الروائيين البوليسيين، مما نصّبها ملكة عليهم جميعاً. فرواياتها كبيرة متكاملة، فيها عشرات الشخصيات الحيّة التي يشعر بها الإنسان دائماً. لا تترك شخصية تظهر في رواية لها دون أن توضح كل معالمها في لمسات سريعة طريفة مهما كان دور هذه الشخصيّة في الرواية، كما تميَّزت أيضاً بأنّ أشخاص رواياتها أشخاص عاديون، ولكنّهم تعرضوا في الرواية لظروف أزالت القناع الحضاري عن الوحوش القابعة في أعماق كل إنسان. كذلك لم تلجأ الكاتبة العظيمة إلى عنصر الجنس في رواياتها، على عكس ما اتبعه الآخرون. إنّها كاتبة فاضلة ليس في كتاباتها ما يخجل الآباء أن يطلع عليه الأبناء. ولم تهدف إلى الإثارة، ولا تلجأ إليها. ورواياتها تضمَّنت أيضا أهدافاً إنسانية فحواها أنّ (الجريمة لا تفيد) وأنّ الخير هو المنتصر في النهاية.

ثمن النسخة

البلد	الثمن	البلد	الثمن
لبنان	3000 ل. ل.	قطر	10 ريالات
سوريا	100 ل. س.	مسقط	1,5 ريال
الأردن	1,5 دينار	مصر	10 جنيه
السعودية	10 ريالات	المغرب	30 درهما
الكويت	1 دينار	ليبيا	5 دنانير
الإمارات	10 دراهم	تونس	4 دنانير
البحرين	1,5 دينار	اليمن	400 ريال


ISBN 9953-38-186-0
9 789953 381862

الثلوج الدامية

برنارد الأسطه

يقدّم

الرواية المعرَّبة

الثلوج الدامية

(12)

تاليف الكاتبة والأديبة العالمية

أجاثا كريستي

تعريب الأديب الراحل

عمر عبد العزيز أمين

الناشر

المركز الدولي

للصحافة والنشر والتوزيع ش.م.م.

ص.ب 374 جونيه – لبنان

تلفون 666 212 9 961 00 فاكس 665 212 9 961 00

البريد الإلكتروني info@darmusic.net

قام بعون الله الأستاذان / **ساري محمد نصار و أميرة عبد القادر محمد**
مشكورين بمراجعة هذا الكتاب وتدقيقه وتصويب أخطائه اللغوية والمطبعية.

الغلاف بريشة الفنان

عبد العال

- 1 -

سطعت شمس تموز (يوليو) الحارة فوق سطح البحيرة المصقولة التي تقوم على ضفتيها بضع كبائن خشبية متصلة متينة البنيان ، يتوسطها كشك رئيسي أُعَد لكي يتناول فيه المصطافون وهواة صيد السمك طعامهم . وجلس في شرفة الكشك رقم 3 رجل متوسط العمر مورّد الوجه راح يُحدق بعينيه الزرقاوين اللامعتين إلى قطعة صغيرة من الورق ، عليها اسم أحد منتديات "**نيويورك**" ، وقد كُتب في هذه الورقة سطر واحد استغرق عنايته وشغله عما حوله من جمال الطبيعة وسحرها .

كان هذا الرجل منذ اجتيازه حدود "**الولايات المتحدة**" ودخوله أراضي "**كندا**" الفرنسية لا يفتأ يبرز من جيبه هذه الورقة ويمعن النظر باهتمام عميق في الكلمات الأربع التالية التي تضمنتها وهي : "**جوزيف روفيير . سان فلورنتين**" . وبينما هو كذلك هتف به صوت عند سلم الكبينة فانتفض وسارع إلى إخفاء الورقة ووقف لاستقبال القادم ، فإذا هو رجل نحيل الجسم أشيب الشعر بادي النشاط يحمل بإحدى يديه قصبة الصيد وفي اليد الأخرى قبعة قديمة بها طُعم لصيد السمك ، وقال ووجهه مشرق بالابتسام :

– إنني أُدعى "**آدمز**" . وأنا أقيم بالكشك المجاور لك .

وقدشاهدتك قادما وأنا أتناول طعامي ، فشعرت بأن واجب الجوار يحتم عليّ أن أحضر إليك لتحيتك .

فقال صاحبه :

– وأنا أدعى "**تريد جولد**" . تفضل بالدخول .

فقال "**آدمز**" وهو يدخل :

– لا أستطيع أن أمكث أكثر من دقيقة واحدة؛ لأنني سأنطلق بصحبة "**ريس**" الصغير لأنه صياد ماهر . وهو يقيم بجوارنا مع والده الضابط البريطاني المتقاعد

فلماذا لا تأتي معنا ؟

– هذا كرم منك لكن الواقع أن لديَّ بعض مشاغل مهمة . .

– في وسعك أن تؤجلها إلى ما بعد . أنت من هواة الصيد . أليس كذلك ؟

– إلى حد ما .

– إنك كسائر المصطافين الذين يقيمون معنا . هل أنت من "**كويبك**" ؟

– بل من "**نيويورك**" .

– وماذا حملك على اختيار هذه البقعة النائية ؟ إن أغلب الأمريكيين يفضلون الذهاب إلى الصيد في مصايد الحكومة . لعلك صديق لـ"**فورجيرون**" العجوز ؟

– لقد اجتذبتني إلى هنا عزلة المكان .فلما عولت على الراحة وتبديل الهواء . .

فضحك "**آدمز**" وقاطعه قائلا :

– لقد وفقت في اختيارك . ألم تأت إلى "**كندا**" الفرنسية من قبل ؟

فأجاب السيد "**تريد جولد**" بالنفي . . فقال "**آدمز**" :

– سيروقك هذا المكان . فإن أهله يعيشون كما كان يفعل أسلافهم قبل الثورة الفرنسية . وفي كل مرة آتي إلى هنا يساورني شعور عجيب بأنني عدت إلى الماضي . إن كل شيء لا يتغير هنا .

– الحق أنني في شوق شديد للتوفر على دراسة أحوال هذه الناحية وأطوار أهلها .

وكان "**آدمز**" في هذه الأثناء يمر بأصابعه فوق طائفة من الكتب صُفت على مائدة أمامه ، ولم يلبث أن قال :

– هذه مجموعة غريبة . هل تتكلم الفرنسية ؟

– بطلاقة .

– سيساعدك هذا في إقامتك هنا . إذ لا يوجد سوى بضعة أفراد في قرية

"**سان فلورنتين**" يفهمون الإنجليزية .

– هل أنت من "**كندا**" الفرنسية ؟

– أنا ؟ لا . إنني محامٍ من "**تورنتو**" .

انحنى "**آدمز**" وجعل يطالع عنوان أحد الكتب ثم قال :

– "دليل الطوابع العالمي" هل أنت من هواة جمع الطوابع ؟

– نعم . وهي هواية محببة إلى نفسي .

قرأ "**آدمز**" عنوان كتاب آخر ثم حملق إلى وجه صاحبه في شيء من الحيرة وقال :

– هل تقرأ كذلك كتب الأبحاث الجنائية ؟!

– إنني من هواة الأبحاث الجنائية .

– هذا من الطرافة بمكان عظيم . إن الأبحاث الجنائية تثير فضولي دائما ، ولابد أن ننتهز فرصة مقبلة فنتحدث في هذا الشأن . حسنا .. لا ينبغي لي أن أحمل صديقي الصغير على انتظاري طويلا .

تقدم إلى باب الكشك وهمَّ بالانصراف ، ولكنه ما لبث أن هتف :

– آه ! هو ذا "**آنج ترمبلاي**" حارس المصيف قادم لكي يرى إن كان يعوزك شيء .

وأقبل عليهما رجل ضخم الجسم يسير فوق الممر الخشبي الموصل بين الأكشاك .

وفي هذه اللحظة سمع "**آدمز**" صوتا يناديه فحيا صاحبه وسار يحمل قصبة الصيد في يده وقصد إلى حيث كان أحد الفتيان يلوح له بيده .

وأقبل الحارس على "**تريد جولد**" وقال :

– لقد جئت لأرى إن كنت بحاجة إليَّ .

– شكرا لك إن كل شيء على ما يرام . أظنك أنبأتني من قبل أن هناك زميلا

يشاركني في هذا الكشك ؟؟

– نعم . هو الدكتور "**وود**" . وسوف يأتي بالسيارة من "**نيويورك**" .. هل في نيتك أن تصطاد غداً، فأعد لك قاربا ؟

– إنني لم أحزم رأيي على أمر بعد . ولكن هل تستطيع أن تصف لي الطريق إلى القرية ؟

– إن المسافة إلى القرية تربو على ثمانية أميال يا سيد "**تريد جولد**" .

– أنت تعني الطريق المعبدة ؟ أليس كذلك ؟! ولكنني أنوي اختراق الغابة . . .

وهنا انقلبت سحنة الحارس . وقال باهتمام :

– تخترق الغابة ؟ .. هذا مستحيل ..

– ولماذا ؟ لقد سمعت أن هناك طريقا تخترقها .

– بل خير لك أن تستقل سيارتك وتنطلق بها في الطريق الممهدة . فقد تضل سبيلك بين أشجار الغابة . وفي وسعي إذا أظهرتني على غرضك أن أذهب الآن بالموتوسيكل إلى القرية .

ورأى "**تريد جولد**" أن الحارس يحاول أن يثنيه عن سلوك طريق الغابة ، ولكن ذلك لم يزده إلا إصرارا وعنادا فقال :

– بل سأسير على قدمي وسأخترق الغابة . ولا أحسب أن المسافة تتجاوز 500 متر . ولكن حدثني هل يوجد قارب لعبور البحيرة ؟ حسنا .. إنني سأجدف بنفسي .

وبعد ربع ساعة تقريبا كان السيد "**تريد جولد**" يترك القارب عند شاطئ البحيرة المقابل . ثم سار على هدي البيانات التي انتزعها من الحارس انتزاعا، فاجتاز قنطرة قائمة على النهر الذي يصب في البحيرة ، ودلف بعد ذلك في الطريق المؤدية إلى الغابة ، وما هي إلا لحظة حتى حجبته أشجارها.

أخذ يتقدم بين الأشجار بسرعة دون أن يصادف أية عقبة ، وأدهشته محاولة الحارس أن يصده عن سلوك تلك الطريق وخطر له أنه إنما فعل ذلك رغبة في القيام بهذه المهمة .. والانتفاع من ورائها ، ولكنه سرعان ما انصرف عن التفكير في أمر هذا الحارس . وأوقف كل اهتمامه على إنجاز المهمة التي قدم لأجلها من "**نيويورك**" .

تكاثفت الأشجار حتى خُيِّل إليه أنه يسير في نفق ونظر إلى ساعته فرأى أنه اجتاز نحو ميلين في عشرين دقيقة دون أن يصادف أحدا في طريقه، أو يلمح أثرا يدل على أن الغابة مأهولة أو مطروقة ..

- 2 -

ما كاد "**تريد جولد**" يبرز من صميم الغابة حتى ألفى نفسه إزاء قصر حصين يقع في وسط حديقة مهجورة اختلطت فيها الأعشاب والنباتات ، وتنهض على مقربة منه طاحونة مائية فوق مجرى ينحدر متدفقا في أخدود بين الصخور .

نفذ "**تريد جولد**" إلى داخل الحديقة بدافع الفضول وألقى نظرة على القصر، فإذا نوافذه مغلقة ومظهره يدل على أنه مقفر من السكان ومهجور منذ عهد طويل .

وبينما كان يهم بالعودة واستئناف السير إذ طرق سمعه حفيف بين أوراق الأشجار .. فانثنى بسرعة وأرهف سمعه إلى مصدر الصوت .. ولكن السكون كان مخيما ولم يجد حوله ما يريب .. فاطمأن وعزا هذا الصوت إلى اضطراب أعصابه بتأثير وحشة المكان وإقفاره ..

على أنه ما كاد يخطو خطوة أخرى حتى وقع بصره على وجه يطل عليه من بين الأشجار .. كان وجها قاتما كوجوه الهنود الحمر ، يتدلى فوقه شعر خشن، وتبرق في صفحته عين واحدة أخذت تنظر إليه في وحشية وشراسة . وزاد من بشاعة ذلك الوجه الغريب فم ينفرج عن أسنان سوداء محطمة ..

على أن هذهَ السحنة المزعجة توارت بأسرع من لمح البصر ، فوثب "**تريد جولد**" إلى حيث كانت أوراق الأشجار لا تزال تهتز عقب اختفاء صاحب الوجه الغريب . فأزاح الأغصان بيده وهتف :

– اخرج يا هذا ..

ولكن لم يصل إلى سمعه سوى صدى صوته وقد تردد مدويا في ذلك الهدوء الشامل .

ولما لم ير فائدة من معاودة النداء هز كتفيه في شيء من الحيرة وعاد أدراجه إلى الطريق مسرعا .. واستأنف سيره إلى القرية .

بلغ القرية بعد عشر دقائق . ولم يجد عناء في الاهتداء إلى غايته . إذ رأى متجرا في نهاية القرية فوقه لوحة كتبت عليها هذه الكلمات : "**جوزيف روفيير . تاجر**" .. وأمامه مضخة لإمداد السيارات بالبنزين .. وبداخله أنواع مختلفة من الثياب وسائر الأدوات المنزلية .

نفذ "**تريد جولد**" إلى داخل المتجر فقابلته امرأة شاحبة اللون فقال لها بالإنجليزية :

– هل السيد "**جوزيف روفيير**" هنا ؟

ولكنها لم تفهمه فأعاد سؤالها بالفرنسية ، فأجابته قائلة :

– انتظر قليلا يا سيدي .

ودلفت من فورها إلى داخل المتجر .

وما هي إلا لحظة حتى أقبل عليه رجل في نحو الأربعين من عمره يضع قلما خلف أذنه . فسأله "**تريد جولد**" :

– هل أنت السيد "**روفيير**" ؟ ..

فألقى عليه صاحب المتجر نظرة سريعة فاحصة وأجاب :

– نعم أنا هو .. ولكنني لا أفهم الإنجليزية .

– إذن فسأحاول التعبير عن غرضي باللغة الفرنسية .

لقد جئت إليك في مهمة غريبة .. منذ شهر تقريبا مر بمتجرك صديق لي من "**نيويورك**" . ووقف أمام هذا الحانوت كي يزود سيارته ببعض البنزين ..

فقاطعه صاحب المتجر في شيء من الضجر قائلا :

– لا أذكر شيئا من هذا ..

فقال "**تريد جولد**" وهو ينظر إلى "**روفيير**" بحدة دون أن يعبأ بكلامه :

– وقد أبرزت لصديقي هذا غلافا يحتوي على مجموعة من طوابع البريد القديمة ، وسألت صديقي المذكور إن كان يميل إلى ابتياعها .. ولكنه لم يكن من هواة الطوابع ، فضلا عن أنه كان راغبا في الإسراع .. بيد أنه ذكر لي هذا الحادث حينما عاد إلى "**نيويورك**" .. فلما جئت هذه الناحية لقضاء إجازتي خطر لي أن أقابلك عسى أن تسمح لي بإلقاء نظرة على تلك الطوابع ...

فهز "**روفيير**" رأسه وقال :

– لقد أخطأت يا سيدي فإنني لا أبيع طوابع بريدية .

– ألا يمكن أن يكون صديقي فد تحدث إلى أحد سواك في هذا المتجر ؟

– لا يساعدني هنا سوى زوجتي . ولا يبعد أن يكون صاحبك قد ابتاع حاجته من البنزين من مكان آخر .

– بل إن صديقي قوي الذاكرة ، وقد ذكر لي اسمك بالذات .

فهز "**روفيير**" كتفيه ولزم الصمت .

على أن "**تريد جولد**" كان واثقا بوجود الطوابع عند هذا الرجل وكل ما هنالك أنه تسرع وأبدى لهفته لرؤيتها ، فثارت في نفس البائع عوامل الجشع لكي يظفر بثمن باهظ .

قال محدثا التاجر في صراحة :

– أصغ إلي يا صاحبي .. سأكون صريحا معك . إنني من هواة جمع الطوابع القديمة . وأنا على استعداد تام لنقدك ثمنا معقولا لأية كمية تحب بيعها ..

– ولكنني أؤكد لك أن ليست لديّ طوابع بريد .

فابتسم "**تريد جولد**" وأخرج من جيبه حافظة نقوده ، فأبرز منها ورقة مالية من فئة الجنيه وقال :

– إنني أهبك هذه الورقة مقابل نظرة على ما قد يكون في حوزتك من الطوابع القديمة .. على أنني لن أخصم قيمتها من الثمن في حالة الاتفاق على البيع .

وهنا طرأ على البائع تحول ظاهر ، فما لبث أن هز كتفيه وقال :

– إذا كنت تصر على معرفة الحقيقة . فاعلم أن لدي طائفة قليلة من الطوابع القديمة ، لا يبعد أن أكون قد عرضتها على صاحبك .. وإذا كنت قد نسيت ذلك أو على الأصح إذا كنت قد تجاهلته . فليس هذا إلا لأن مجموعة الطوابع تخص زوجتي . وقد عثرت بها ملتصقة فوق رسائل قديمة من مخلفات أمها عند وفاتها .. وأصارحك أنني لست على وئام مع أهل زوجتي .. وإذا علموا أنني تصرفت في هذه الطوابع . فسوف يشتد الخلاف بيني وبينهم .. ولكن يلوح لي يا سيدي أنك رجل حريص عاقل . وما دمت تصر على إلقاء نظرة على مجموعة الطوابع فإنني لا أرى مانعا من ذلك .

قال هذا وفتح أحد الأدراج وأخذ منه غلافا قديما ووضعه فوق الحاجز الخشبي ثم تناول الورقة المالية، وطواها بعناية ، ودسها في جيبه .

أما الزائر فقد انقض على الظرف وأفرغ محتوياته فوق الحاجز فانتشرت منه مجموعة من الطوابع التي فصلت عن أغلفتها بعناية .. وما لبث أن تأوه وقال :

– ما الذي حملك على فصل هذه الطوابع عن أغلفتها ؟

فهز "**روفيير**" كتفيه وأجاب :

– لكي يسهل حفظها وإخفاؤها .

وفي هذه اللحظة طرق سمعه صوت باب يفتح بداخل المتجر . فسارع بإخفاء الطوابع تحت صحيفة كانت في متناول يده . وهمس قائلا :

– صه ! .. ها هي ذي زوجتي قادمة .

ورأى "**تريد جولد**" تلك المرأة التي أبصر بها عند دخوله المتجر قادمة من الداخل . وعلى رأسها قبعة من طراز قديم .

فدار بينها وبين زوجها حديث موجز بلهجة سريعة لم يستطع "**تريد جولد**" أن يفهم منها شيئا . ولكن خُيّل إليه من قسمات وجهها أنها تؤنب زوجها .. غير أنها ما لبثت أن حيت الزائر بإحناء رأسها قليلا ثم انصرفت .

فحص "**تريد جولد**" الطوابع بعناية ثم نظر إلى "**روفيير**" وسأله :

– كم تريد ثمنا لهذه المجموعة ؟

ففرك "**روفيير**" كفيه وقال وعلى وجهه علامات الاغتباط :

– إنها مجموعة نادرة كما ترى .. ما رأيك في أن تدفع خمسين ريالا ثمنا لها؟

فلم يتردد "**تريد جولد**" وعزم على أن ينقد الرجل الثمن الذي طلبه أملا في استدراجه إلى إبراز ما قد يكون لديه من طوابع بريدية أخرى . ولذلك أخرج حافظة نقوده وناول البائع الثمن الذي طلبه ثم أعاد الطوابع إلى الغلاف ودسها في جيبه .

ولم يخب ظنه . فإن "**روفيير**" ما لبث أن قال وهو يحصي الأوراق :

– إذا عاهدتني يا سيدي على أن تبقي الأمر في طي الكتمان . فسوف أبذل جهدي للبحث عما قد يكون بالمنزل من أمثال هذه الطوابع .

فابتهج "**تريد جولد**" لنجاح خطته . على أنه أخفى شعوره وأخرج غليونه

فحشاه تبغا ثم قال :

– حسنا . إنني أقيم بالمصيف الكائن على ضفاف البحيرة . واسمي "**تريد جولد**" .. أتحب أن أوافيك غدا في مثل هذا الوقت ؟

– لا .. لا .. ولكنني سأخطرك برسالة موجزة وفي هذه اللحظة دق جرس كنيسة القرية . فألقى "**تريد جولد**" نظرة سريعة على ساعته وقال :

– الساعة الآن السادسة . لابد أن أنصرف . إن العشاء يقدم بعد نصف ساعة. والمسافة بعيدة .

– في وسعي إذا انتظرتني بالقرية خمس دقائق ريثما أقوم بزيارة قصيرة أن أوصلك إلى مقرك في سيارتي .

– هذا إذا لم أكن سببا في مضايقتك ..

– كلا على الإطلاق .

أسرع الرجل فارتدى سترته ووضع قبعته على رأسه وقاد زائره إلى الخارج، ثم أغلق الباب واتجه إلى فناء مجاور للمتجر . وهناك رأى "**تريد جولد**" سيارة فخمة أيقن عندما وقع بصره عليها أن الرجل على جانب كبير من الثراء .

- 3 -

وقفت السيارة أمام منزل بالقرب من الكنيسة . وهناك استأذن "**روفيير**" صاحبه في مقابلة الأستاذ "**بوشيرون**" مسجل العقود ودخل إلى المنزل .

وترك "**تريد جولد**" السيارة بدوره وقصد إلى الكنيسة ونفذ إلى داخلها وألقى نظرة على محتوياتها . وهناك وقع بصره على السيدة "**روفيير**" وكانت جاثية تتمتم صلاة خافتة أمام تمثال للعذراء بالقرب من المذبح .

وبينما هو يجيل بصره في نقوش الكنيسة إذا به يرى قسا ثاقب العينين

يرتدي ثيابا فضفاضة ففاتحه بقوله.:

– إنها في الحق كنيسة بديعة عريقة في القدم .

فأومأ القس برأسه وقال في وقار :

– إن تاريخها يرجع إلى ما قبل الفتح البريطاني .

وأشار بيده إلى مصباح يرسل ضوءا أحمر قانيا فوق المذبح واستطرد :

– إن هذا المصباح لم يخمد ضؤوه منذ مائة وثمانين عاما . ثم انظر إلى هذا النقش التذكاري فوق الجدار . . إنه يخلد ذكرى انقضاء العهد الإقطاعي الذي ألغي عام 1855 وهناك على حدود القرية قصر آخر إقطاعي في هذه المنطقة ويطلقون عليه في هذه الناحية اسم (قصر الموت) .

– أهو منزل عتيق يجري في جواره نهر صغير ؟ لقد شاهدته حينما كنت قادما إلى القرية . إنه مقفر من ساكنيه في الوقت الحاضر ، أليس كذلك ؟

فأومأ القس برأسه وقال في شيء من الجفاء :

– إن صاحبه الإقطاعي يقيم في الخارج

– ألم تقرر أن عهد الإقطاع انقضى ؟

– لقد ألغيت حقوق أولئك القوم السياسية وبقيت لهم الألقاب ، وحق اقتضاء أجور أملاكهم من ساكنيها . لقد سلبهم الاستعمار ما كان لهم من سلطة ، ومنح الزراع فيما مُنحوا من الحقوق الجديدة حق طحن غلالهم في مطاحن أولئك الإقطاعيين . لا شك أنك رأيت في طريقك طاحونة عائلة "**سان ريمي**" ؟ . .

– نعم لقد رأيتها . ولكن يُخَيّل إليّ أنها معطلة .

فظللت وجه القس سحابة حزن . وقال في إيجاز :

– لقد تُوفي حارسها . ولم يستطع أحد في هذه الظروف الاقتصادية المرهقة

أن يحل مكانه .

– وما السبب في تسمية المنزل (قصر الموت) ؟

– يقال في تفسير ذلك : إن أحد المستعمرين قُتل بيد أحد الهنود الحمر على مقربة منه .

– لقد خُيّل إليّ أن هنالك أسطورة غامضة أو قصة خفية تتصل بتاريخه.. فإن حارس المصيف الذي أقيم به أصر إصرارا غريبا على ألا أسلك الطريق الذي يخترق الغابة ، ولقد أوهمني أن الممر الذي يمتد في صميمها يتعذر السير فيه ، ولكني رأيت أن قوله محض هراء ، ولذا خطر لي الآن أنه ربما كان يريد أن يبعدني عن المرور بقرب القصر ... على أنني حينما عرَّجت على القصر ..

وهنا قاطعه القس وقال في لهجة صارمة :

– إن من الخير لـ"**آنج ترمبلاي**" أن يهتم بعمله فقط .

وهنا لم يجد "**تريد جولد**" بدا من تغيير مجرى الحديث وساعدته طلاقة لسانه وبشاشة وجهه على النجاح في غرضه ، حتى أنه لم يخرج من الكنيسة إلا وقد تبادل والقس بطاقتيهما ، ودعاه هذا الأخير إلى قضاء السهرة بعد العشاء في منزله القريب من الكنيسة لإطلاعه على بعض الوثائق التاريخية .

على أنه حين استقل السيارة ثانية برفقة "**روفيير**" لم يستطع أن يطرد من ذهنه حديث (قصر الموت) . ولذا سأله أن يفسر له السر في تحذير الحارس "**ترمبلاي**" له ، فضحك "**روفيير**" وأجاب قائلا :

– لقد وقعت بالقصر حوادث غريبة منذ أن رحل عنه صاحبه "**هكتور**"

– وما هي هذه الحوادث ؟

– إن أهل هذه القرية يتعلقون بالأوهام والخرافات .

فهم يعتقدون أن روح صاحبه السابق "**أنياس**" الذي نقشت باسمه اللوحة

التذكارية في الكنيسة تطوف بالغرف المقفرة ليلا . وهم لذلك يحرصون أشد الحرص على ألا يقربوا القصر عند حلول الظلام . . . بل إن منهم من يجتنب المرور على مقربة منه حتى في ضوء النهار ، ولا سيما بعد مصرع حارس الطاحونة .

– وماذا نزل بهذا الحارس ؟

– لقد عثروا به ملقى في غدير وقد دق عنقه وجرح رأسه . . ولما جاء رجال البوليس من "**كويبك**" للتحقيق أُعتبر الحادث قضاء وقدرا وقيل في تفسيره: إن الحارس هوى من فوق الصخور في أثناء الظلام . . .

ولكن كل إنسان في قرية "**سان فلورنتين**" يعتقد اعتقادا راسخا أن الحارس لقي حتفه ضحية الروح الشريرة التي تسكن القصر . . . أنا لا أود أن تؤمن بمثل هذه الأساطير يا سيدي ، ولكني أحب أن تقتدي بنا وتبتعد عن المرور على مقربة من القصر . .

– ولكن لماذا ؟

– إذن فأصغ إلي . . هناك متشرد عربيد يقيم على ضفة النهر بالقرب من القصر ، وقد نصب نفسه حارسا على تلك البقعة ، فهو يطوف بأرجائها ليلا ونهارا . . . و . . . وهنا هتف "**تريد جولد**" في انفعال قائلا :

– لقد شاهدته بنفسي حينما كنت قادما إليك

وراح يسرد ما وقع له على مسامع "**روفيير**" . فلما فرغ قال الرجل في لهجة جدية :

– إذن فإنك قد أُستهدفت اليوم لخطر جسيم . فإن ذلك الرجل الملقب بـ"الأعور" تتملكه عقيدة غريبة هي أن كل من يدنو من القصر إنما يحاول أن ينتزعه من أصحابه أبناء أسرة "**سان ريمي**" . . . وفي يقيني أنه فاجأ حارس

الطاحونة حينما كان يصطاد في النهر وقضى عليه .. والحق أن قاضي التحقيق قد اشتبه فيه وأصدر أمره باعتقاله لكنه لم يلبث أن أطلق سراحه لعدم توفر الأدلة ضده .

– وهل معنى ذلك أن يترك هذا المجرم المخبول حرا ليهدد الناس في أرواحهم؟!..

فهز "**روفيير**" كتفيه وقال :

– لا ضرر من بقائه حيث يقيم . فإن أهل القرية لا يدنون من القصر بعد مصرع حارس الطاحونة .. إنما أرجو أن يكون في هذا الحادث نذير لك ولرفاقك الذين يقيمون معك بالمصيف؛ حتى لا يقترب أحدكم من (قصر الموت) في المستقبل .

وما كاد هذا الحوار ينتهي حتى انعطف الطريق وبدا لهما المصيف على مبعدة .

- 4 -

سار "**تريد جولد**" إلى (الكبينة) وهو يفكرفي ذلك الوجه المخيف الذي أطل عليه من بين الأشجار . ومع أنه كان رجلا مثقفا فإن ذكرى ذلك الوجه لم تبرح مخيلته .. بل لقد خُيّل إليه أن تلك الروح التي يزعمون طوافها بالقصر المهجور قد تجسدت وحلت في إهاب صاحب ذلك الوجه البغيض .

ولكنه ما لبث أن تناسى ذلك الحادث . وانصرف ذهنه إلى مجموعة الطوابع التي ظفر بها وعلل نفسه بفحصها وتقدير قيمتها الحقيقية مستعينا بالمنظار المكبر ومسترشدا بدليل الطوابع .

بيد أنه ما كاد يصل إلى الكبينة حتى شاهد بداخلها شابا يعلو الغبار ثيابه وقد استقرت بجانبه حقائب السفر ، فتذكر زميله الذي سيقاسمه الكبينة

وأدرك أنه سيضطر إلى تأجيل مهمة فحص الطوابع . ولذلك تنهد وسأل الشاب :

– هل أنت الدكتور "**وود**" ؟

فأجاب الشاب وهو يبتسم :

– نعم . أحسبني في حضرة السيد "**تريد جولد**" ؟..

إننا في الحق نكاد نشبه المكتشفين "**ستانلي**" و"**لفنجستون**" ..

فإنهما إذا كانا قد اكتشفا مجاهل "**إفريقيا**" ، فنحن نغزو مجاهل "**كويبك**" .

يا له من يوم شديد الحرارة !!!

وكان الشاب مرحا يفيض وجهه بشرا . فقال "**تريد جولد**" :

– ما رأيك في قليل من الشراب ؟

وقصد "**تريد جولد**" إلى أحد الأدراج وألقى به غلاف الطوابع ، ثم جلس مع رفيقه يتناولان الشراب وما لبث الطبيب أن قال :

– لا شك أن مجال الصيد هنا فسيح ...

ولكن "**تريد جولد**" كان يتفحص الشاب فقال له :

– أرى أن سيارتك قد أصابها عطب في أثناء الطريق وأنك استرحت في الغابة.. فتنهد الشاب وقال:

– هذا صحيح وقد ذهب الحارس للبحث عن جوادين لسحبها إلى هنا .

– لقد كان الطريق خلوا منها حينما أتيت الآن عن طريق الغابة .. ولابد إذن أنهم قد سحبوها من موضعها .

– لقد اضطررت بعد تعطل السيارة أن أحمل هاتين الحقيبتين ، وأن أسير بهما نحو ميل حتى وصلت إلى هنا .

ولكن كيف علمت بهذا الحادث ؟

فضحك "**تريد جولد**" وقال :

– كان هذا مجرد استنتاج .

فقال الطبيب في دهشة :

– مجرد استنتاج ؟ !

– هذه مسألة هينة . فإن الغبار يعلو ثيابك ومظهرك يدل على أنك قطعت شوطا شاقا . ثم إنني ألمح آثار شحم أسود يلوث يديك وجزءا من كم سترتك، مما يدل على أنك كنت منهمكا في إصلاح إحدى الآلات ولما كنت قد سمعت من قبل أنك ستأتي إلى هذا المصيف بالسيارة ، فقد كان يسيرا أن أستنتج أن هذه السيارة قد أصيبت بعطب في أثناء الطريق وأنك كنت تحاول إصلاحها.

– كل هذا صحيح . ولكنك قررت الآن أنني قد استرحت في الغابة . فكيف توصلت إلى ذلك ؟

فضحك السيد "**تريد جولد**" وقال :

– حسنا . . انظر إلى هذه الورقة الخضراء التي علقت ببنطلونك إنها ورقة شجرة . وقد استنتجت منها ومن هذا الغبار الأحمر الذي يعلو حذاءك، أنك جئت إلى هنا سائرا في الطريق التي تشق الغابة حيث التراب أحمر اللون ، وأنك لم تأت من الطريق العامة حيث التراب أبيض اللون .

فضحك الدكتور "**وود**" وقال :

– جدير بمن كان مثلك أن يكون مفتشا في البوليس بل ولا يبعد أن تكون من رجال البوليس ؟

فهز "**تريد جولد**" رأسه وقال باسما :

– لم أحظَ بعد بمثل هذا الشرف . إنني أحترف مهنة قد لا تقل عن مهنتك شأنا . فأنت تشفي المرضى ، وأنا أكسو العراة . . إنني صانع ثياب يا صديقي .

– "**تريد جولد**" إذن فأنت صاحب محل الأزياء الشهير (**باول تريد جولد . وفلاك**) .

– أنا الشريك الأكبر . واسمي الكامل "**هوراس باول تريد جولد**" . آه ! هو ذا جرس العشاء يصلصل .. هيا بنا .

وصل "**تريد جولد**" والطبيب "**وود**" إلى الكبينة المخصصة لتناول الطعام فإذا المصطافون جلوس حول الموائد بلباس الصيد . وما كاد يراهما "**تسيراند**" وكيل السيد "**فورجيرون**" صاحب المصيف حتى أقبل يحتفي بهما فقدمهما إلى زوجته وفتاتيه الصغيرتين ، ثم إلى بقية الضيوف ، وهم : الجنرال "**ريس**" الضابط البريطاني المتقاعد وزوجته السيدة "**جويندولن**" وابنهما الصغير "**شينر**" و"**مونتجومري**" الأمريكي وزوجته ، و"**آدمز**" المحامي .

ولقد احتفى هذا الأخير بالسيد "**تريد جولد**" بصفة خاصة وأفسح له مكانا إلى جانبه ، ثم سأله قائلا بعد أن استقر به المقام :

– كيف قضيت وقتك بعد الظهر ؟

فأنبأه "**تريد جولد**" بأنه قصد إلى القرية ، على أنه لم يشأ أن يطلعه على ما حدث له مع "**روفيير**" ، ثم استطرد قائلا :

– وبهذه المناسبة .. لقد وقع لي حادث غريب ..

وهنا نظر إليه الجميع وقد ساد بينهم الصمت ، فقص عليهم قصة ذلك الوجه الغريب وختمها بقوله :

– ويلوح لي أنني قد نجوت بأعجوبة من شر ذلك المجرم المخبول فضحك "**آدمز**" في شيء من التهكم وقال :

– الواقع أنك تبالغ في تجسيم المسألة ، فليس هذا الذي تنعته بالخبل سوى سكير متشرد ..

فقال "**تريد جولد**" في دهشة :

– هل تعرفه ؟

– إني أعرفه حق المعرفة . فقد اعتدت أن أذهب إلى القصر منذ نحو عشرين عاما ، وكنت أرى ذلك المتشرد الملقب بالأعور لا يفيق من الشراب إلا ليعود إليه . .

على أنني حسبته قضى نحبه من تأثير الإدمان من سنوات مضت .

وصمت السيد "**آدمز**" فقال الضابط بصوته الحاد :

– سواء أكان ذلك الرجل الملقب بـ"الأعور" مجنونا أم عاقلا ، فليس من الصواب أن يترك سكير متوحش مثله يجول طليقا حول المصيف ! . .اسمع يا"**شينر**" . . . عليك ألا تحوم حول هذا القصر . . .

فقال الصبي في هدوء :

– كما تشاء يا أبي .

وقال "**تريد جولد**" :

– لقد قيل فضلا عن ذلك : إن هناك شبحا يطوف بأرجاء القصر . . بل هم يتبسطون فيقولون إن روح أحد أصحابه القدامى تطوف بالغرف المقفرة في أثناء الليل . . .

فحملق السيد "**آدمز**" نحوه وقال مستفسرا :

– أيمكنك أن تقرر أن أحدا من القرويين قد سمع حقًّا وقع أقدام الشبح بين جوانب القصر ؟

فضحك "**تريد جولد**" وأجاب :

– تلك هي الشائعة الرائجة . وأنا أروي ما سمعته بلا تعليق .

لكن "**آدمز**" لم يشاركه ضحكته . وخُيّل إلى "**تريد جولد**" أن وجه هذا

المحامي قد تصلب وبدت عليه آثار لم يأنسها عليه من قبل ..

على أن أحدا منهم لم يستأنف هذا الحديث بعد ، فقد انفض الجميع من حول المائدة ، ومضى "**تريد جولد**" إلى حيث وضع طوابعه البريدية فراح يفحصها في فضول .

- 5 -

ما كاد "**تريد جولد**" يستقر وينشر أمامه مجموعة الطوابع التي ابتاعها حتى رأى أن الضوء الكهربي الضئيل لا يساعده على أداء مهمته . ولذلك أرجأ المهمة إلى وقت آخر وخرج يتنزه فوق الممر الخشبي الموصل بين الكبائن .

لحق به زميله "**وود**" بعد قليل ، فتجاذبا أطراف الحديث .

ثم قال "**تريد جولد**" :

– سأقصد الآن إلى القرية لزيارة القس . فقد وعد بأن يطلعني على بعض الوثائق التاريخية ، فهل لك في أن ترافقني ؟

– لا بأس من الذهاب معك حتى حدود القرية . فإن السير يحلو في هذه الليلة الصافية .

– إن الطريق يجاوز ثلاثة عشر كيلو مترا وهنالك طريق أقصر داخل الغابة .. بيد أنني لا أحب أن أقترب من ذلك القصر مرة أخرى .. وسوف أستقل سيارتي .

– سأرافقك . ولكن أين يقع هذا القصر المهجور ؟

– أرجو ألا يكون معنى ذلك أنك تعتزم الذهاب إليه ؟

فضحك الطبيب وأجاب قائلا :

– وما المانع ؟

– وهل تخاطر بالتوجه إلى عرين ذلك المجنون الخطر ؟

– خل عنك هذا يا صاحبي . فأكبر الظن أن ذلك الرجل مخلوق مسالم . . ألم تسمع ما قاله "**آدمز**" في هذا الصدد ؟

وقفت السيارة عند منزل القس حوالي الساعة التاسعة وتقدم "**تريد جولد**" فدق جرس الباب ثم قال يحدث الدكتور "**وود**" :

– هلم معي أيها الصديق .

فقال "**وود**" :

– بل أفضل أن أقوم بجولة في ربوع القرية . وإذا لم تجدني بعد انتهاء زيارتك، فلا تنتظرني .

وفُتح الباب في هذه اللحظة فشُغل السيد "**تريد جولد**" عن صاحبه هنيهة . ولما تحول إليه بعد ذلك وجد أنه اختفى من أمامه .

– دخل "**تريد جولد**" منزل القس ، فألفى هذا الأخير جالسا إلى مكتبه وأمامه بعض الوثائق والمخطوطات القديمة . . ووجد معه الأستاذ "**بوسيرون**" مسجل العقود وقد استقدمه خصيصا إلى منزله ومعه طائفة أخرى من الوثائق المتصلة بتاريخ المقاطعة .

ولما بلغت الساعة العاشرة شعر "**تريد جولد**" بوخز الضمير؛ لأنه ترك زميله "**وود**" كل هذه المدة ينتظره خارج المنزل . فنهض مستأذنا في الانصراف .

على أنه لم يجد أثرا لصاحبه . وألفى الطريق مقفرة من المارة . فهز كتفيه ووثب إلى السيارة ، وانطلق بها .

وبلغ المصيف بعد نحو ثلث الساعة فألفى الكبينة الرئيسية مظلمة ، ولم يهتد إلى أثر للطبيب "**وود**" . كذلك وجد الكبينة رقم 3 التي يقيمان بها معا خالية .

وما كاد "**تريد جولد**" يضيء النور الكهربي حتى سمع وقع خطوات فوق الممر الخشبي الموصل بين الكبائن . فأطل برأسه وشاهد "**آدمز**" مقبلا عليه فسأله عن الدكتور "**وود**" فقرر أنه لم يره بعد الفراغ من العشاء ، وأضاف إلى ذلك أن سائر المصطافين قد ذهبوا للنوم ، أما هو فقد أصيب بأرق لم يجد علاجا له إلا أن يستقل قاربا ويقوم فيه بنزهة في البحيرة . ثم حيًا السيد "**تريد جولد**" وسار في طريقه إلى الكبينة رقم 4 على بعد نحو خمسين مترا .

ودلف "**تريد جولد**" إلى الكبينة ثانية وخلع قبعته وسترته وهمَّ يتناول كأس من الشراب قبل أن يأوي إلى فراشه ، وحينئذ سمع فجأة صيحة مختنقة صادرة من مكان قريب وأعقب هذه الصيحة صوت التحام أجسام مما ينبئ بوقوع صراع بين شخصين ..

هرع "**تريد جولد**" إلى الخارج ، فشاهد باب الكبينة المجاورة له يُدفع بعنف، ووقع بصره على السيد "**آدمز**" وقد خرج إلى شرفة الكبينة وهو ممسك بتلابيب شخص يتلوى بين يديه محاولا الإفلات والفرار .. لكن "**آدمز**" جذبه بعنف إلى الممر قرب مصباح معلق بإحدى الأشجار وما كاد يتميز وجه غريمه حتى انفجر صائحا :

– أهذا أنت أيها الشرير ؟ .. قد فاجأتك أخيرا ..

وقبض "**آدمز**" على رأس أسيره بكلتا يديه وراح يضرب به جذع الشجرة وقد بلغ منه الغضب والانفعال مبلغا عظيما ..

أما "**تريد جولد**" فقد روعه هذا المشهد وهرع إلى ناحية "**آدمز**" وهو يصيح قائلا :

– تريث يا سيد "**آدمز**" .. إنك ستقتله .

وما كاد المحامي يسمع نداء "**تريد جولد**" حتى أمسك عن البطش بغريمه

ودفعه دفعة قوية ، فهوى مترنحا إلى جذع الشجرة . على أنه لم يلبث أن استوى على قدميه في خفة مدهشة ، ووقف في مكانه وقد انحنى رأسه فوق صدره ولشد ما كانت دهشة السيد "**تريد جولد**" حين شاهد أمامه ذلك الوجه الذي أطل عليه من بين الأشجار في حديقة (قصر الموت) ..

وقف الرجل الملقب بـ"الأعور" يحرك رأسه ذات اليمين وذات اليسار ، وأرسل من عينه اليسرى نظرة تنم عن التحدي والاستهتار . وما لبث أن انسل مبتعدا لا يلوي على شيء وابتلعه الظلام ..

أما "**آدمز**" فإنه لم يحاول أن يتبعه ، وإنما نظر إلى "**تريد جولد**" في شيء من الندم ثم قال :

– إنني آسف لما بدر مني .. فقد كدت أفقد صوابي حينما فاجأته داخل الكبينة .. ولقد حاول أن يختبئ في الحمام عندما أحس بقدومي ..

– هل سطا على شيء ؟

فهز المحامي رأسه هزة الواثق المطمئن فقال "**تريد جولد**" :

– يحسن بنا أن نخطر الحارس .. إذ يحتمل أن يكون قد انسل إلى الكبائن الأخرى ..

فضحك "**آدمز**" وقال :

– إنه ليس لصا . وأنا أعرف ماذا كان يبغي .

وضحك مرة أخرى ثم استطرد قائلا :

– لا تقلق .. لقد أعطيته درسا لن ينساه وأحسب أنه لن يتسلل ورائي بعد الآن .. طاب مساؤك ..

وأحنى "**آدمز**" رأسه محييا ثم عاد إلى كبينته .

ولاحظ "**تريد جولد**" أن "**آدمز**" لم يشأ أن يبوح له بما كان "الأعور" يريد

من. وتذكر في هذه اللحظة أن المحامي قد نعته في أثناء العشاء بأنه سكير متشرد وخُيِّل إليه أن هذه الزيارة الخفية قد ترجع إلى نزاع قديم بين الاثنين حينما كان المحامي يقوم بزياراته للقصر ......

على أن "**تريد جولد**" رأى آخر الأمر أن هذه الأمور لا تعنيه فعاد إلى فراشه واستغرق في النوم ....

◆◆◆◆◆

استيقظ "**تريد جولد**" من رقاده حينما أحس بالضوء يداعب بصره ففتح عينيه ورأى "**وود**" واقفا بجانب المائدة ، فسأله قائلا :

– كم الساعة الآن ؟

– نحو منتصف الليل .. هل لي أن أتناول كأسا من الشراب ؟

فقال "**تريد جولد**" وهو يتثاءب :

– خذ ما تشاء .. ولكن بالله أين كنت حتى هذه الساعة ؟!

فلم يجب الطبيب بل راح يصب الشراب في الكأس وازدرده وهو يضحك ضحكة مرحة ...

فقال "**تريد جولد**" وهو تحت تأثير النوم :

– ماذا يضحكك يا صاحبي ؟

فثاب الشاب إلى نفسه كأنما أفاق من حلم وأجاب قائلا :

– لا شيء ..

وشرع يخلع ثيابه . على أنه لم يلبث أن قال فجأة :

– "**تريد جولد**" ... أيها الصديق العتيد .. أخبرني ما لون العيون التي تستحيل بين دقيقة وأخرى من عسلية إلى زرقاء ؟ ..

فتثاءب "**تريد جولد**" ثانية وقال :

ـ ما هذا الهراء ... دعني أنم أيها الرجل ...

ثم تقلب في فراشه واستقبل الجدار واستسلم للرقاد .

- 6 -

استحوذت قصة القصر المهجور أو القصر الذي تطوف به الأشباح على عقل الطبيب الشاب "**وود**" ، واعتزم أن يقصد إليه ويستوثق من صحة الشائعات التي تذاع عنه .

ولما رأى أن "**تريد جولد**" قد امتنع عن الذهاب إليه حينما كان برفقته في السيارة في طريقهما إلى بيت القس فإنه أخفى عزمه ، وانتهز فرصة انشغال صاحبه عنه عند وصوله إلى بيت القس ، فانسل بين منازل القرية موليا وجهه صوب الغابة .

كان الليل قد بدأ يرخي سدوله ، وبينما هو يجد في السير لاح له شبح القصر يرتفع في الفضاء شاهقا أبيض اللون .. فما إن بلغه حتى نفذ من باب الحديقة وشرع يتقدم فوق الأعشاب الكثيفة ، وقد أخذ قلبه ينبض بشدة من فرط الانفعال .. على أنه ما لبث أن غالب شعوره وتقدم إلى نوافذ الطابق الأرضي وراح يحاول فتحها ، فألفاها محكمة الإغلاق ..

دار حول القصر حتى وجد بابا خلفيا تؤدي إليه درجات قليلة فصعد إليه وحاول فتحه بهدوء فاستجاب الباب دون أقل عناء ..

وفي هذه اللحظة سمع خلفه وقع أقدام خفيفة الوطء فاستولى عليه الفزع .. وقفز من مكانه باحثا عن مصدر الصوت ، فوقع بصره على فتاة نحيلة القوام عارية الرأس ترتدي ثوبا أسود اللون ، وقد انتصبت واقفة بأسفل درجات السلم،

وراحت تحملق فيه بعينيها الواسعتين اللامعتين ، وقد نمت نظراتها عن الخوف والاضطراب ، فأُخذ الشاب بمظهرها ، ووقف يحدق إليها بدوره كأنما أسرته عيناها ..

على أنه لم يلبث أن ابتسم لها مشجعا وقال :

– لا تجزعي .. لقد كنت ألقي نظرة على هذا المكان .. ولم يخطر لي أن أحدا يقيم هنا ..

ولكنها لم تجبه بل اندفعت بالقرب منه وفتحت الباب ونادت بصوت خافت :

– "**جاك**" .. "**جاك**" ..

فلما لم يجبها أحد من الداخل رفعت صوتها في حذر كأنما تخشى أن يسمعها أحد وكررت النداء :

– "**جاك**" .. أين أنت ؟ ..

ولكنها لم تظفر بجواب .. فتحولت إلى الشاب الذي كان يراقبها صامتا وقالت وهي تشير بيدها إلى خارج المنزل :

– يوجد في الخارج شخص مريض .. ولابد من إحضاره إلى داخل المنزل .. لكنني لا أقوى على حمله بمفردي .. فهل لك في مساعدتي ؟ ..

فقال الشاب على الفور :

– عن طيب خاطر .. وبهذه المناسبة، إنني طبيب ..

فقالت لاهثة الأنفاس :

– طبيب ؟ .. هلم معي بسرعة

وتقدمته في خفة وعجلة إلى واجهة القصر الأمامية ، ثم تحولت نحو ممر يفضي إلى الغدير . راحت تجري بسرعة حتى كاد يتعذر على الشاب اللحاق بها في الظلام الذي أخذ يتكاثف رويدا . ولم يملك الشاب إلا أن يعجب برشاقتها

ونشاطها .

وما لبث أن وقع بصره على شبح رجل كهل فوق صخرة كبيرة على ضفة الغدير .. وقد سقطت قبعته إلى الأرض فكشفت عن شعره الفضي الغزير .. وكان يقبض بيديه على صدره ويئن أنينا خافتا .

أما الفتاة فقد جثت على ركبتيها بجانبه وطوقته بذراعيها في رقة وحنان وهتفت قائلة :

– إنني جئتك بطبيب يا جدي وسنحملك إلى داخل القصر وجثا الدكتور "**وود**" إلى جانب الشيخ وقال في رفق وهو يمعن النظر في وجهه المحتقن .

– ماذا حدث ؟

فقال الرجل في نبرات متهافتة وبلغة إنجليزية تشوبها رطانة غريبة :

– كنت أسير في رفقة حفيدتي فشعرت فجأة كأن صدمة أصابتني في صدري.. وابتدأ هذا الألم الفظيع يفتك بي .

هنا ..

رفع يدا نحيلة إلى صدره .. وتقلصت شفتاه الزرقاوان فجأة في نوبة ألم حاد وراح يلهث قائلا :

– رباه كم أتألم ..

ونشط "**وود**" لأداء واجبه الإنساني وسأل الفتاة في صوت خافت :

– أتعرفين أنه كان يشكو مرضًا في القلب ؟

فأومأت برأسها علامة الإيجاب ، فقال "**وود**" :

– وكيف كنتم تعالجونه ؟

– كان يتناول مسكنا ألمانيا . يسمى (**ميتافيلين**) ..

فقال الطبيب وهو يقلب شفتيه .

- (**ميتافيلين**) ؟ .. هذا ما خطر لي .. لابد أن نحمله إلى الفراش . هل لديكم بعض القهوة ؟

- نعم .. لقد جهزت قليلا منها .. ولكنني لا أعلم إن كانت لاتزال دافئة ..

- إذن فاسبقيني ودفئيها .. ثم أعدي ماء ساخنا وانتظري بالمنزل ... في وسعي أن أحمله بمفردي ..

فهرعت الفتاة لتنفيذ هذه التعليمات . بينما انحنى الشاب فوق الكهل وحمله بين ساعديه القويتين . وهنا فتح المريض عينيه فإذا هما مفعمتان خوفا . همس قائلا :

- إن شعوري بدنو أجلي يملأ نفسي جزعا ..

فقال الشاب في هدوء :

- إن قلبك ضعيف يا سيدي .. ولكن لا تجزع ..فسوف تنجو هذه المرة ..

وما كادت الفتاة تشعر باقترابه حتى خرجت من الباب الخلفي، ثم سبقته إلى الداخل وتناولت شمعة مضاءة كانت موضوعة في مطبخ القصر وتقدمت الشاب في ممر ضيق يفضي إلى بهو عار من الأثاث تتفرع منه بضع غرف كانت إحداها مفتوحة . فدخل الشاب إلى هذه الغرفة وشاهد بها على ضوء الشمعة مكتبا صغيرا وموقدا تتوهج فيه النيران وفراشا صغيرا بالقرب من الجدار .

وبينما كان يضع الشيخ على الفراش راحت الفتاة تضيء مصباحا زيتيا فوق المكتب ثم همست قائلة :

- سأذهب لإحضار القهوة ..

غابت الفتاة قليلا ثم عادت تحمل صحفة وكيسين من الجلد بهما ماء ساخن . فتناولهما الطبيب ووضعهما عند قدمي المريض ثم تحول إلى الفتاة وقدم إليها قنينة صغيرة وهو يقول :

– أتعلمين أنه كان يتناول هذه الأقراص ؟ لقد سقطت هذه القنينة من ثيابه حينما أرقدته على الفراش . .

فهزت الفتاة رأسها وقالت :

– لا . . لا علم لي بذلك . ولكن ما هذه الأقراص ؟

– (مورفين) . سأعطيه قرصين منه لكي يستريح

وأسلم الشيخ نفسه إلى الطبيب فابتلع القرصين وتجرع القهوة ، ثم تمدد فوق الفراش وأغمض عينيه . أما الطبيب الشاب فإنه جلس على مقعد بجوار الفراش وراح يراقب المريض . . ولم يتمالك من أن يجيل بصره في أرجاء تلك الغرفة العارية ، وهو يعجب من وجود هذين الشخصين في مثل هذا المنزل المهجور .

ولما أحدث المخدر تأثيره ونام الكهل نهض الشاب قائما وقال يحدث الفتاة :

– أحب أن أتحدث إليك قليلا . . ولكن ليس هنا . .

فأومأت الفتاة برأسها مجيبة وتناولت الشمعة وقالت :

– تعال معي .

وقادته إلى حجرة تتفرع من البهو فرأى في وسطها مائدة انتثرت عليها بعض الكتب والمجلات ، وكانت نافذتها مفتوحة قليلا ، فأغلق باب الغرفة وقال لها في لهجة رزينة :

– لا مناص من مصارحتك بالحقيقة . . إن جدك مريض .

فضمت راحتيها فوق صدرها وقالت :

– أتعني . . أتعني أنه سيقضي نحبه ؟

فحدق الشاب إلى عينيها مشفقا وخاطبها في صراحة وإخلاص قائلا :

– لا يجدر بي أن أفسح لك في الآمال الكاذبة . فإن أقل صدمة فجائية قد تودي بحياته . والأمل الوحيد في بقائه على قيد الحياة بعد هذه النوبة التي

أصابته الآن هو أن يعيش في هدوء تام وراحة كاملة ولا بد أن يلازم الفراش فترة لا تقل عن ثلاثة أسابيع .

أما الطبيب فقد استطرد يقول وهو يقلب البصر حوله :

– من الجلي أنه لا يستطيع أن يبقى هنا . ولابد من نقله إلى أحد المستشفيات بعد يوم أو يومين . .

فهزت الفتاة رأسها وهي شاردة الفكر وتمتمت قائلة :

– مستحيل . .

– لماذا ؟ .

فلم تجب فاستطرد قائلا :

– إذا كنتم تقيمون في هذا القصر الفسيح ، ففي الإمكان على الأقل نقله إلى جناح آخر تتوفر فيه وسائل الراحة .

فقالت الفتاة في صوت أجش :

– إنكِ لا تعرف . . فإن سائر القصر مهجور ولا يصلح للسكنى . ولا يوجد أثاث إلا في هاتين الغرفتين وفي غرفة ثالثة أنام فيها .

وهنا سمعت وقع خطوات ثقيلة خارج الغرفة ، وارتفع صوت رجل يهتف في رقة قائلا :

– يا آنسة .

فقالت الفتاة :

– هذا خادم جدي . . لابد أن أطلعه على ما حدث .

وسارت على أطراف أصابعها إلى الخارج .

وعادت إليه بعد لحظات وقالت له :

– لقد كان كرما منك أن تمد إليَّ يد المساعدة . وإني وجدي مدينان لك

بالشكر، على أنه لا ينبغي أن أحتجزك أكثر من هذا .

– ولكنني لا أستطيع أن أتركك على هذه الحال . إن جدك . .

– سأعتني به أنا و"**جاك** " . وسنتبع تعليماتك حرفيا . .

– الواقع أن الواجب يقضي بنقله إلى المستشفى .ولكن هذا شأنك بالتأكيد . وعلى كل حال فأنا أقيم بالمصيف الكائن على الضفة الأخرى من البحيرة وسوف أحضر غدا؛ كي أرقب حالته الصحية .

فهزت الفتاة رأسها وقالت :

– بل أرجو ألا تفعل ، أطلب إليك أن تقسم لي بشرفك ألا تذكر لأي إنسان أنك شاهدتنا هنا . .

– ولكن لماذا ؟

فلمعت عيناها وهتف هو قائلا :

– ألا يمكنك أن تدركي أنني لا أقصد سوى مساعدتك ؟ لكن لك أن تطمئني إلى أنني لن أطلع أحدا على هذا السر ، إذا كنت تخشين ذلك . . .

ثم قال في صوت رقيق :

– ألا تخبرينني من أنت وماذا تفعلين هنا ؟

فهزت رأسها وقالت :

– ينبغي ألا تلقي عليّ هذا السؤال . .

وكفّت عن الكلام بغتة وأرهفت السمع لحظة ثم قالت :

– صه . . . هل سمعت شيئا ؟

– لا . .

– لعلك تلاحظ أن الجالس في هذه الغرفة ليلا يسمع جلبة غريبة .

– ما هي على وجه التحديد ؟

– وقع أقدام .. يبدو أنها تصدر من داخل المنزل .

– هذا هراء .. وإذا كنت حقًّا قد سمعت شيئا فمرجعه إلى "الأعور" الشرير الذي يطوف بهذه الناحية .

– أتعني "**ماتياس**" العجوز ؟ .. إذن فاعلم أنه لم يطأ بقدمه أرض هذا القصر قط .. ومهما يكن من أمر فهو نفسه يفزع فزعا شديدا من الأشباح .

– إذن فأنت تعرفين هذا العربيد ؟

فأحنت رأسها ولم تجب ...

– وكم مضى عليكم هنا ؟ ..

– هذه هي الليلة الثالثة ...

تقدمت إلى الباب وفتحته قائلة :

– لا مناص من أن تذهب الآن ..

– وجدك ؟

– سنبقى هنا في الوقت الحاضر . وسأجتهد في أن أوفر له أسباب الراحة والسكينة نزولا على إرشاداتك ولكنني على يقين من أن ذلك ليس سهلا يسيرا . فإنه كان شديد الانفعال منذ جئنا إلى هذا القصر .

فقال الدكتور "**وود**" :

– يستطيع أن يتعاطى حبوب (الميتافيلين) في الصباح كالمعتاد ، وسأمر بكم غدا صباحا .

ولكن الفتاة هزت رأسها بإصرار وأجابت :

– لا .. لا .. يحب ألا تحضر . فقد يتعقبك أحد ، على أنه إذا ساءت حالته فإنني لن أتردد في أن أبعث إليك بخادمنا "**جاك**" إنك تقيم في المصيف : أليس كذلك ؟ ما اسمك ؟

– اسمي الدكتور "**وود**" . "**جورج وود**" وأقيم بالكبينة رقم (3) .

فأطرقت برأسها .. وتقدمته إلى الخارج عن طريق المطبخ فتبعها .. ومرا في طريقهما برجل في مقتبل العمر أسمر البشرة . كان يقرأ إحدى الصحف .. فترك الصحيفة و نهض واقفا احتراما للفتاة وضيفها . وقد أدرك الدكتور "**وود**" أن هذا الرجل لابد أن يكون هو الخادم "**جاك**" .

- 7 -

بدأ الدكتور "**وود**" يأنس إلى "**تريد جولد**" شريكه في الكبينة فقد وجد فيه زميلا دمث الخلق طيب المعشر ، يدل صفاء عينيه الزرقاوين على نقاء السريرة.

ففي صباح اليوم التالي استأجر الاثنان قاربا وانطلقا به لصيد السمك في البحيرة كما اتفقا في اليوم السابق . وعادا في المساء بكمية غير قليلة من الأسماك الصغيرة، وكانا في حالة إعياء وتعب . فتناولا طعام العشاء مع باقي نزلاء المصيف ثم جلسا في شرفة "الكبينة" وراحا يرقبان هبوط الليل وانتشار الظلام على صفحة البحيرة .. ويطردان البعوض كلما سمعا طنينه حول آذانهما .. وبينما هما كذلك . إذا بهما يريان الجنرال "**ريس**" مقبلا عليهما .

سألهما :

– هل رأى أحدكما الغلام "**شينر**" ؟ ! إنه انطلق بعد الغداء ولم يعد . والساعة الآن كادت تقرب من العاشرة . وقد حان الوقت الذي يجب أن يأوي فيه إلى مضجعه ..

ولكنهما أجاباه بأنهما لم يبصرا الصبي . فانصرف الجنرال وهو ساخط على غلامه أشد السخط .

ولما ابتعد الجنرال تحول "**تريد جولد**" إلى زميله، وقال له :

– أرجو ألا يكون قد أصاب الصبي مكروه .

فتثاءب الدكتور "**وود**" وأجاب :

– من المحتمل أن يكون قد انطلق بالقارب وفقد أحد مجدافيه فعوقه ذلك عن العودة مبكرا .

– هلم بنا إلى المكان الذي ترسو عنده القوارب على ضفة البحيرة إلى أن نراه مقبلا فنخطر بذلك أباه حتى لا يستولي عليه القلق .

انطلق الاثنان إلى المرسى ولكنهما وجدا أن الجنرال "**ريس**" والسيد "**آدمز**" قد سبقاهما إلى هناك .

وما هي إلا لحظة حتى أومأ "**آدمز**" بأصبعه نحو قارب يشق أمواه البحيرة .. ويقترب من المصباح الذي يضيء طيلة الليل على ضفة البحيرة . وما لبثوا جميعا أن رأوا "**شينر**" ممسكا بالمجدافين .. فصاح أبوه في غضب .

– ما معنى هذا يا غلام ؟

فوثب "**شينر**" من القارب إلى الضفة وقال منفعلا :

– لقد ذهبت إلى القصر المهجور . وأعتقد أنني رأيت الشبح كذلك .

فاشتد بالجنرال الحنق والغضب وصاح :

– أذكر أنني حظرت عليك بصفة خاصة أن ..

ولكن "**آدمز**" قاطعه بأن سأل الفتى :

– هل تعني حقًّا أنك رأيت أحدا في القصر المهجور ؟؟

فأجاب الغلام :

– لا أقصد أنني رأيت أحدا عيانا .. إنما الواقع أنني رأيت بصيصا من النور منبعثا من ثقوب نافذة مغلقة .. كذلك سمعت وقع خطوات ، فلم أشأ أن أرى أكثر من ذلك .. وأطلقت ساقي للريح .

فامسك أبوه ساعده بعنف وقال له :

– عليك الآن أن تذهب إلى فراشك وسيكون لي شأن معك غدا .

فقال "**آدمز**" :

– دع الفتى يحدثنا عن الشبح يا جنرال . فالموضوع طريف يثير الفضول .

وهنا تحول "**تريد جولد**" إلى الدكتور "**وود**" وقال له بصوت خافت :

– لا شك أن ذلك الشريد "الأعور" قد نفذ إلى القصر ولكن الطبيب الشاب كان يحملق إلى الظلام وهو مستغرق في التفكير . فلم يجب .

ولم يعبأ بما قاله "**آدمز**" .. بل صرخ في ولده قائلا :

– اذهب إلى فراشك في الحال ، لا أريد أن أسمع بعد الآن بهذه الترهات الصبيانية .

فانطلق "**شينر**" في الطريق إلى كبينة الجنرال "**ريس**" . وتبعه أبوه .. وعاد "**تريد جولد**" والدكتور بدورهما إلى شرفة الكبينة تهالك الدكتور "**وود**" على مقعده وراح يدخن غليونه وهو صامت ولم يكن لـ"**تريد جولد**" رغبة في الكلام؛ لأنه كان متعبا بعد رحلة ذلك النهار .. فأشعل بدوره لفافة تبغ . وظل يدخن حتى غلبه النعاس وأفلتت لفافة التبغ من بين شفتيه . وسقط رأسه فوق صدره.

ولكنه ما لبث أن استيقظ على صوت السيد "**مونتجومري**" وهو يصيح :

– مرحبًا .. دكتور "**وود**" .. كم الساعة الآن ؟ فإن ساعتي قد تعطلت .

– الساعة الآن الحادية عشرة إلا الربع .

وهتف "**تريد جولد**" :

– يا لله ! لقد غلبني النعاس .. ولكن ما هذا .. إن المطر يهطل بشدة وقد تحولت قطراته إلى كرات ثلجية تطرق النوافذ .

فأجاب الدكتور "**وود**" :

– هذا انقلاب عرضي في الجو لا يلبث أن يزول .

واستغرق في الصمت مرة أخرى .

كان في شغل بالتفكير في تلك الفتاة التي رآها في القصر المهجور .. وقد خطر له أن الضوء الذي رآه "**شينر**" كان ولابد منبعثا من غرفة الشيخ المريض.

قال لنفسه : إن الحكاية التي رواها "**شينر**" عن وجود ضوء بالقصر الذي يعتقد الجميع أنه مهجور سوف تنتشر في المصيف والقرية فماذا يفعل ؟؟ هل ينطلق إلى الفتاة فيحذرها لكي تبحث عن مخبأ آخر ؟!

ولكن أين تستطيع الفتاة وجدها المريض أن يذهبا في مثل هذه الليلة العاصفة ؟

وفجأة هدأت العاصفة الثلجية . وتنبه "**وود**" من تأملاته على صوت زميله وهو يقول :

– الساعة الآن الحادية عشرة .. لقد حان موعد الرقاد على ما أعتقد .

فأجابه الطبيب :

– صبرا لحظة .

ذلك أنه فكر في أنه يستطيع استخدام سيارته لتحذير الفتاة وجدها . ونقلهما إلى مخبأ آخر . ولكنه عاد فتذكر أن سيارته لاتزال معطلة . وهنا خطر له أن يستخدم سيارة صاحبه "**تريد جولد**" . ولكن ذلك معناه أن يبوح لهذا الأخير بسر الفتاة .

ولكن لماذا لا يبوح له بهذا السر ؟ ألا توحي ملامح "**تريد جولد**" وأقواله وأعماله بالثقة والطمأنينة .

وكانت الأنوار قد بدأت تختفي من الكبائن واحدة بعد أخرى ، فلما فرغ الدكتور "**وود**" من قصته . كان الظلام يخيم تماما على المصيف .

وقد أصغى "**تريد جولد**" إلى حديث صاحبه في فضول واهتمام .وأخيرا قال :

– إذن فالضوء الذي رآه "**شينر**" الصغير كان منبعثا من غرفة الشيخ المريض –

لا ريب في ذلك .

– أظن أنني أستطيع أن أنبئك بهوية هذا الشيخ ؟!

– ماذا تعني ؟ من هو ؟!

– إنه صاحب القصر .

– صاحب ماذا ؟

– إنه وريث أصحاب هذه المنطقة الذين يرجع تاريخ سيادتهم إلى عهد الحكم الإقطاعي .

ثم راح يفسر للطبيب نظام الحكم الإقطاعي في تلك المنطقة كما أوضحه له القس وختم حديثه بقوله :

– والظاهر أن هذا الشيخ قد وقع في شبابه في ورطة ما فاضطر إلى الرحيل . وأذكر أن السيد "**آدمز**" قال لي شيئا بهذا المعنى ونحن نتناول الطعام أمس .

– إذن فالرجل قد عاد أخيرا إلى قصر آبائه وأجداده . وتوارى بين جُدره .

– ذلك ما أعتقده . ألم ترسل الفتاة في طلبك بعد تلك المقابلة الأولى ؟

– فهز الطبيب رأسه وأجاب :

– لا . إنها لم ترسل في طلبي بعد .

إنني لا أتمالك من الشعور بالحزن والأسف على الفتاة .. إنها على جانب كبير من النشاط واللباقة . وإن كانت متعجرفة نوعا ما .. وقد كان يسرني أن أعاونها بقدر ما أستطيع . ولكن لماذا لا أذهب إليها الآن بسيارتك ؟

ونظر إلى زميله نظرة رجاء واستعطاف .. ولكن سؤاله أدهش "**تريد جولد**" فهتف :

– أنذهب إليها في مثل هذه الساعة من الليل ؟ لا .. يا عزيزي ليست لي القدرة على القيام بهذه الرحلة الشاقة فأنا متعب . وسأنطلق في التو واللحظة

إلى فراشي .. ولكن ما هذا ؟

ذلك أنه سمع في تلك اللحظة مجدافا يتحرك في الماء بسرعة ..

قال الدكتور "**وود**" :

– إنني أرى قاربا مقبلا ولكن من ذا الذي يخرج بالقارب في مثل هذه الساعة؟

– لابد أنه السيد "**آدمز**" . فقد قال لي أمس إنه يميل إلى التجديف .

وصل القارب إلى حافة البحيرة . ووثب منه رجل يرتدي معطفا من المطاط.. فجعل ينظر حوله كمن لا يعرف أين يجب أن يسير .

على أن الدكتور "**وود**" ما لبث أن رأى وجه الرجل على ضوء المصباح فهتف بغتة :

– هذا "**جاك**" . خادم الفتاة .

ووثب من مكانه وأسرع إلى حيث كان الخادم . وتبعه "**تريد جولد**" عن كثب.

ورآه "**جاك**" فاقترب منهما ورفع قبعته محييا . وهنا رأى الدكتور العرق يتصبب على جبينه .

هتف الرجل بالإنجليزية السقيمة :

– إنني سعيد برؤيتك يا سيدي الطبيب . إن الآنسة تطلب إليك أن توافيها على عجل فإن سيدي في غيبوبة، ولم تستطع إعادته إلى رشده .

- 8 -

هتف "**تريد جولد**" :

– إذن فسأعد السيارة ..

وانطلق مسرعا . فقال الدكتور "**وود**" يحدث الخادم :

– اذهب معه وسألحق بكما في الحال .

قصد إلى الكبينة، واختطف حقيبته وأدواته، ومصباحه الكهربي وأسرع إلى حظيرة السيارات .. ولما بلغها كان "**تريد جولد**" قد أدار محركها . فوثب إلى جانبه . وجلس الخادم في مؤخر السيارة . وما هي إلا لحظة حتى انطلقت السيارة على حافة البحيرة بأقصى سرعتها .

قال "**تريد جولد**" محدثا صاحبه في همس :

– لقد أردت الاستفسار من الخادم عن حقيقة سكان القصر . ولكنه أجاب بأنه تلقى أوامر حاسمة بألا يذكر أسماء . على أن ذلك لا يغير رأيي . فأنا واثق بأن الشيخ الذي تحدثت عنه هو صاحب القصر .

ولما كانت جميع الدلائل تدل على أن وطأة المرض قد اشتدت عليه فأرى من الأوفق أن نمر بالقس وأن نصطحبه معنا ..

◆◆◆◆◆

استمرت السيارة في طريقها .. وأراد الطبيب أن يقف على المزيد من التفصيلات فانثنى إلى الخادم وسأله عما حدث . فأجاب بأن الفتاة أقامت الليل كله بجانب فراش جدها . وأن النهار التالي انقضى بسلام إلى أن أقبل المساء فطلب الشيخ إلى حفيدته أن تذهب إلى فراشها .. فأطاعت ، ولكنها استيقظت من نومها بعد ذلك .. فوجدت جدها مرتديا ثيابه وممددا على أرض غرفة الطعام .. وهو لا يتكلم ولا يأتي بحركة . فتعاونا معا على نقله إلى فراشه . ومن ثم أمرته الفتاة بالبحث عن الطبيب فاجتاز الغابة سيرا على قدميه ... وكان في نيته إذا لم يجد قاربا أن يدور بحافة البحيرة ماشيا كذلك .

ووقفت السيارة أخيرا بباب القس . وقرع الدكتور "**وود**" الباب فأطلت شقيقة القس من إحدى النوافذ . وردت على سؤال الطبيب بأن القس لم يعد بعد من

مدينة " **ترابون**" القريبة .. وعندئذ طلب إليها "**وود**" أن ترجو القس حال عودته من "**ترابون**" أن ينطلق في الحال إلى القصر؛ لأن هناك شخصا يحتضر..

سألت شقيقة القس عن هذا المحتضر، ولكن الطبيب لم يجبها بل وثب إلى السيارة فانطلقت في الطريق إلى القصر وقبل أن تقف السيارة تماما أمام القصر كان الطبيب قد وثب منها وحقيبته في يده ...

كان الظلام مخيما على القصر فأضاء "**وود**" مصباحه الكهربي . ونفذ إلى الداخل من خلال الباب الخلفي .

واجتاز المطبخ ونفذ إلى الدهليز ... ورأى نورا ضئيلا ينبعث من باب إحدى الغرف فترجح لديه أنها غرفة الشيخ المريض ..

أسرع إلى هذه الغرفة .. وهناك وجد الشيخ مرتديا كامل ثيابه وممددا في فراشه، وهو شاحب اللون مغمض العينين . فوضع "**وود**" حقيبته على إحدى الموائد .. وظن لأول وهلة أنه وحده بالغرفة ولكنه ما لبث أن رأى الفتاة تبرز له من أحد الأركان المظلمة .

سألها بحدة .. وهو لا يرفع بصره عن الشيخ الممدد في الفراش :

– لماذا سمحت له بالنهوض ؟

فأجابت وهي تجذب بأصابعها أطراف منديل كان في يدها :

– إنه ألحف عليَّ في أن أذهب إلى فراشي لأستريح ..وقد استولى عليَّ النوم. وخُيِّل إليَّ عندما استيقظت أنني سمعت صرخة مدوية فأسرعت إلى هذه الغرفة، ولكني لم أجده، ولم أجد ثيابه كذلك . فخطر لي في الحال أنه لابد قد ارتدى ثيابه .. وانطلقت في البحث عنه حتى عثرت عليه في غرفة الطعام.. وكان فاقدا الرشد كما تراه الآن .

كانت الفتاة تتكلم وهي لاهثة الأنفاس .. وفي عينيها نظرة ضراعة ورجاء.

تقدم "**وود**" من الفراش .. فتبعته .. وراحت ترقب حركاته باهتمام وفضول.

وأقبل "**تريد جولد**" في هذه اللحظة .. بعد أن ترك "**جاك**" بالباب في انتظار القس ..

سلط "**وود**" ضوء مصباحه الكهربي على وجه الشيخ المريض . وفتح إحدى عينيه بأصابعه .... وألقى على حدقتها نظرة فاحصة .. ثم تقدم من المائدة .. وأخرج من حقيبته (حقنة) ووضع بها سائلا من قنينة صغيرة ...

وفي هذه اللحظة أقبل "**جاك**" الخادم فوقف بالباب . وهتف بصوت خافت :

– يا آنسة .... يا آنسة ... لقد جاء سيدي القس .

فأجالت الفتاة الطرف حولها في يأس . ثم قالت :

– إذن فأحضر شمعة أخرى يا "**جاك**" .. أسرع .. توجد شمعة مضاءة في غرفة الطعام ..

ولكن القس دخل الغرفة في هذه اللحظة . وسار إلى الفراش بخطى ثابتة دون أن يتلفت يمنة أو يسرة .

وقبل أن يصل القس إلى الفراش . رفع الطبيب رأسه وقال بصوت خافت :

– هذا أمر يدعو إلى الأسف . لقد مات الرجل .

فلم يجب القس .. بل راح يحملق إلى الشيخ بحدة . ثم رفع يده ورسم بها علامة الصليب على الفراش وجثا على ركبتيه .. وشرع يرتل صلاة الموتى . بينما أخذت الفتاة تجهش بالبكاء .

وحذا "**تريد جولد**" والطبيب حذو القس .. وركعا بجانب الفراش .

مرت دقيقة أو أقل في صمت محزن .. ثم فُتح الباب فجأة وبعنف ورأى "**تريد جولد**" الخادم "**جاك**" واقفا بعتبة الباب وهو زائغ البصر مرتجف الأوصال .

فذهب إليه ليأمره بالتزام الصمت . فتنهد الخادم وقال :

– يا إلهي ! هذه نكبة مخيفة .. إن في غرفة الاستقبال ..

فقاطعه "**تريد جولد**" قائلا في همس :

– بماذا تهذي أيها الرجل ؟! ماذا تريد ؟؟

فلوح الرجل بيده وقال :

– لقد ذهبت إلى غرفة الطعام للبحث عن الشمعة كما أمرتني الآنسة ولكن الغرفة كانت في ظلام دامس ..ولابد أن أحدا نقل الشمعة من موضعها..فشرعت في البحث عنها . ورأيت ضوءا ينبعث من غرفة أخرى في نهاية الرواق فقصدت إليها ورأيت الشمعة مضاءة وموضوعة على أرض الغرفة.. وبالقرب منها جثة رجل .

فهتف "**تريد جولد**" وهو لا يكاد يصدق أذنيه :

– جثة رجل ؟!

– نعم .. وقد دنوت من الجثة لأفحصها . فوجدتها غارقة في بحيرة من الدماء. ناديت الرجل ولكنه لم يتحرك . فأدركت أنه ميت؛ ولذلك جئت مسرعا .. فإذا تفضل سيدي ورافقني إلى .. وفتح الباب الذي خلفهما قبل أن يتم "**جاك**" عبارته .

وخرج منه الدكتور "**وود**" . سأل :

– ماذا حدث ؟

فأجاب "**تريد جولد**" :

– إنه يؤكد أنه رأى في غرفة الاستقبال جثة رجل ..

فحملق الطبيب إلى وجه صاحبه، وهتف :

– ماذا تقول ؟ جثة رجل في غرفة الاستقبال ؟

فهز "**تريد جولد**" كتفيه وقال :

– إنه يقول ذلك بلهجة التأكيد . فهلم بنا نستطلع الخبر .

وأشار إلى الخادم بأن يتقدمهما . ففعل . وقصد بهما إلى غرفة الاستقبال . وهناك أضاء الطبيب مصباحه الكهربي فلفت نظره في الحال جسم ممدد على ظهره، ويداه مبسوطتان على الأرض وكان "**تريد جولد**" أول من رأى وجه صاحب الجثة . فجمد في مكانه ونظر إلى الدكتور "**وود**" وهتف بصوت أجش.

– يا إلهي ! إنه السيد "**آدمز**" .

- 9 -

جثا الدكتور "**وود**" بجانب الجثة وراح يفحصها ثم ما لبث أن قال :

– إنه مات . ولكن موته كان منذ ساعة أو ساعتين على الأكثر .

ثم حل أزرار القميص الملوث بالدماء . وكشف عن صدر "**آدمز**" وهتف :

– انظر . وأشار إلى جرح عميق في الجانب الأيسر من الصدر واستطرد :

– إنه أصيب بطعنة .

ثم صوب ضوء المصباح الكهربي إلى البقعة المحيطة بالجثة، ولكنه لم يعثر على السلاح الذي ارتكبت به الجريمة .

قال :

– إنني لم أرَ قط جرحا كهذا . . وأستطيع أن أؤكد أنه لم ينجم عن طعنة خنجر أو سكين ؛ لأنه مثلث الشكل .

ثم نهض واقفا وهو يقول :

– يجدر بنا أن نترك كل شيء على حاله حتى يحضر رجال البوليس . بيد أن ما يدهشني أكثر من أي شيء آخر هو ماذا جاء بـ"**آدمز**" هنا ؟

فلم يجبه "**تريد جولد**" بل قال :

– اسمح لي بهذا المصباح الكهربي لحظة . .

تناول المصباح وسلط ضوءه على الأرض، وأخذ يطوف بالجثة . ثم وقف فجأة وهتف بالطبيب قائلا :

– "**جورج**" . . انظر . .

وأشار إلى بقعة تحت قدمي القتيل فأمعن الطبيب في تلك البقعة . ورأى على الأرض وسط الدماء أثر قدم .

قال "**تريد جولد**" :

– لقد ترك القاتل الأثر الذي يرشد إليه . . هذا إذا لم يكن . .

ونظر إلى "**جاك**" . . الذي كان واقفا في الظلام يرقب كل شيء باهتمام شديد .

قال بلطف :

– دعني أر حذاءك يا صديقي . فأطاع الخادم . وفحص "**تريد جولد**" حذاءه بعناية ثم قال :

– لا أرى على حذائك أثر دماء . يجب إذن أن نتعقب أثر الأقدام الملوثة بالدماء .

وراح يتعقب آثار الأقدام الملوثة التي تركت طابعها على الأرض . فقادته الآثار إلى غرفة الطعام، ثم إلى نافذة هذه الغرفة . وكانت النافذة مغلقة ولكن بدون المزلاج . فدفعها "**تريد جولد**" بيده دفعة خفيفة ففُتحت .

وحوَّل "**تريد جولد**" ضوء المصباح إلى النافذة . وعثر بها على خدش حديث العهد . ورأى على قاعدتها أثرا خفيفا من آثار القدم الملوثة بالدماء .

أطل "**تريد جولد**" من النافذة . ورأى تحتها ممرا ضيقا .

فسأل "**جاك**" بقوله :

– إلى أين تؤدي هذه الطريق الضيقة ؟

– إنها يا سيدي الطريق التي جئتم منها . وهي تصل بين واجهة القصر و باب المطبخ .

ورأى "**تريد جولد**" على الأرض آثار أقدام كثيرة فقال :

– هناك على الأقل أربعة أشخاص عدا القاتل قد مروا من هذه الطريق . وهؤلاء الأشخاص الأربعة هم ثلاثتنا والقس . ولكن لنترك فحص الأرض ومقارنة آثار الأقدام إلى الصباح . ومن حسن الحظ أن الأمطار انقطعت . فلا خوف إذن من انطماس آثار الأقدام .

فقال له الطبيب فجأة :

– دعنا نعد إلى غرفة الاستقبال فقد خطر لي خاطر :

وعاد بصاحبه إلى غرفة الاستقبال وألقى نظرة سريعة على الدرع والأسلحة المثبتة بالجدار ووقف أمام سيفين لهما قبضتان من النحاس وغمدان من الجلد . وتحتهما غدارتان قديمتان .

قال "**تريد جولد**" :

– هل تبحث عن السلاح الذي ارتكبت به الجريمة ؟!

فهز الطبيب رأسه وقال :

– لا أظن أن الجريمة ارتكبت بأحد هذه الأسلحة .

والواقع أنه لم ير على الجدار أثر أي سلاح نُقل من موضعه .

وقد انتبه "**تريد جولد**" من تأملاته على صوت الدكتور "**وود**" وهو يقول :

– أليس من الأفضل عمل شيء لإخطار البوليس بأمر هذه الجريمة ؟ كذلك يجب أن نبحث عن الأسباب التي حملت "**آدمز**" على القدوم إلى القصر .

فأجاب "**تريد جولد**" في هدوء :

– أعتقد أن في استطاعتي ذكر أسباب دخوله القصر .

ثم التفت إلى " **جاك** " وسأله :

– هل تعرف رجلا يلقب بـ"الأعو"ر ؟!

– نعم يا سيدي .

– هل رأيته هذا المساء ؟!

– إنه كان في المطبخ قبل موعد تناول العشاء . ولم أره بعد ذلك .

– هل يبيت في هذا القصر ؟!

– لا يا سيدي . فهو يقيم في كوخه الصغير على ضفة النهر بالقرب من الطاحونة .

– ولكنه اعتاد القدوم إلى هذا القصر . أليس كذلك ؟!

– إنه لا يتعدى المطبخ؛ لأنه يبتاع لنا ما نحتاج إليه من المواد الغذائية .

فأطرق "**تريد جولد**" برأسه مفكرا، ثم أومأ إلى الجثة وسأل :

– وكيف استطاع القتيل دخول القصر ؟!

– لا أعلم يا سيدي .

فتحوًل "**تريد جولد**" إلى الطبيب، وقال له :

– لقد نسيت بالأمس أن أقول لك : إن السيد **آدمز**" فوجئ وهو في غرفته بهذا الشريد الملقب بـ"الأعور" .. ولولا أنني تدخلت في الأمر .. لهشم "**آدمز**" رأس الرجل .

ووصف "**تريد جولد**" ما حدث بإيجاز ثم قال :

– هل تذكر متى رأينا "**آدمز**" آخر مرة هذه الليلة ؟

– نعم .. إننا رأيناه عند حافة البحيرة ساعة قدوم "**شينر**" بقاربه .

– هذا صحيح . وقد ذكر "**شينر**" أنه رأى ضوءا ينبعث من إحدى نوافذ القصر . فقلت وقتئذ : إن "الأعور" ربما كان قد نفذ إليه .. ولا أعلم هل سمع "**آدمز**" هذه الملاحظة أو لم يسمعها .. ولكن من المؤكد أن حديث الصبي أثار فضوله . فقرر التحقق بنفسه من صحة أقوال الصبي واستقل قاربا عبر به البحيرة و . . .

فقاطعه "**وود**" قائلا :

– لقد فهمت ما تعني . تريد أن تقول : إن القارب الذي جاء به "**جاك**" هو بعينه القارب الذي عبر به "**آدمز**" البحيرة !

– نعم .. وفي اعتقادي أن "**آدمز**" – وهو صديق قديم للعائلة التي تملك هذا القصر .. قد خطر له أن "الأعور" ربما احتل القصر . ولما كان هذا الشريد مشهورا بسوء السيرة . فلا يبعد أن يكون "**آدمز**" قد أشفق أن يسرق هذا الشريد ما بالقصر من أثاث وأسلحة . فأراد أن يحول بينه وبين غرضه وكانت النتيجة . . .

– وكانت النتيجة أن "الأعور" شعر به فقتله .

– هذا ما أعتقده . وليس من الصعب في الوقت نفسه معرفة الوقت الذي وصل فيه "**آدمز**" إلى هذا القصر، ولا الوقت الذي لقي فيه مصرعه فنحن نعلم أن الصبي "**شينر**" عاد من رحلته في الساعة العاشرة . أليس كذلك ؟ وأذكر أن عبور البحيرة واجتياز الغابة إلى القصر قد استغرقا مني في وضح النهار خمسا وثلاثين أو أربعين دقيقة . ومن المحتمل أن يكون "**آدمز**" قد أسرع في طريقه . فإذا كانت رحلته قد بدأت عقب قدوم "**شينر**" مباشرة . فلابد أنه وصل إلى القصر حوالي الساعة .. ولكن صبرا .

وتقدم من الجثة فجأة ومس ثيابها ، وفحص حذاء القتيل، ثم هتف :

– هل تذكر هطول الأمطار هذا المساء ؟!

فأجاب "**وود**" :

بالتأكيد ... ثم نظر بدوره إلى الجثة وقال :

– تعني أنه مادام ثوب "**آدمز**" جافا وحذاؤه نظيفا فلابد أن يكون قد وصل إلى القصر قبل أن يهطل المطر ؟!

– نعم .. وقد انقطع المطر في الساعة الحادية عشرة . إنني أذكر ذلك تماما؛ لأني نظرت وقتذاك إلى ساعتي .ولكن المسألة الآن هي متى بدأ هطول المطر؟!

فأجاب الطبيب بلهجة الفوز :

– في استطاعتي أن أجيبك عن هذا السؤال . لقد بدأ المطر يهطل في الوقت الذي دعاني فيه "**مونتجومري**" وطلب أن يعرف كم كانت الساعة ، وقد كانت الساعة وقتذاك الحادية عشرة إلا ربعا .. ألا تذكر ذلك ؟

– أصبت .. ومعنى ذلك إذن أن "**آدمز**" لابد أن يكون قد وصل إلى القصر بين الساعة العاشرة والدقيقة 45 و ..

ونظر إلى ساعته ثم استطرد :

– والساعة الثانية عشرة والدقيقة 45 أي اللحظة التي عثر فيها "**جاك**" على جثته في هذه الغرفة .

أليس من الممكن معرفة الوقت الذي تُوفي فيه ؟

فهز "**وود**" رأسه في ارتياب وأجاب :

– ليس في الاستطاعة ذكر الوقت بالتحديد .

وتناول يد القتيل وجسها، ثم أجاب :

– ولكن من المؤكد أنه أسلم الروح منذ أكثر من ساعة .

– إذن فلا بد أن تكون الجريمة قد ارتكبت في المدة بين الساعة العاشرة والدقيقة 45 والساعة الحادية عشرة والدقيقة 45 .

ثم تحول إلى الخادم فجأة وسأله :

– متى أيقظتك الآنسة من نومك؟

ولكن الخادم لم يستطع ذكر الوقت بالتحديد؛ لأنه لم يعرف كم كانت الساعة.

هز "**تريد جولد**" كتفيه وقال :

– ليس من المهم معرفة ذلك الآن .. إنما المهم هو ماذا كان "الأعور" يصنع في المدة التي يظن أن الجريمة ارتكبت في خلالها ؟

فأجاب الطبيب:

– هذا من شأن رجال البوليس .. ولكن هل تظن أنه توجد شرطة في القرية؟

– لا أظن ذلك . والرأي عندي أن نستقدم القس ونحدثه بجلية الخبر .

عادا إلى غرفة الميت .. وفتحا بابها . فوجدا القس مقبلا عليهما والفتاة لا تزال جاثية بجانب فراش جدها .

قال القس في صوت خافت بعد أن أغلق الباب وراءه :

– لقد كنت أبحث عنك يا سيد "**تريد جولد**" .

إنني لا أريد في الوقت الحاضر إزعاج الفتاة وهي في هذه الحالة من الحزن.

ولكني أحب أن أعرف الظروف التي ..

فقاطعه "**تريد جولد**" قائلا :

– إن هذا الشيخ المتوفى .. هو صاحب القصر أليس كذلك ؟

فأطرق القس برأسه وأجاب :

– بلى يا سيدي .. إنه هو . إنني لم أكن أعرفه حق المعرفة؛ لأنني عُينت قسا هنا منذ ثلاثة أعوام فقط وهو قد رحل إلى الخارج عقب قدومي مباشرة ولكني عرفته في الحال .. رغم ما طرأ على سحنته من التغيير إنه بعينه "**هكتور دي سان ريمي**" آخر أصحاب هذا القصر ..

وقدومه إلى هذا البيت العتيق ليلفظ فيه نفسه الأخير لهو حلقة محزنة من سلسلة الحوادث المؤلمة التي اختتمت بها حياته . إنني لا أريد أن أتحدث عنه بسوء . فقد صعدت روحه الآن إلى خالقها .

ثم نظر إلى "**تريد جولد**" متسائلا، وقال :

– ولكن من هي هذه الفتاة ؟!

فأجاب "**تريد جولد**" :

– إنها حفيدته يا سيدي ..

فهتف القس :

– آه ! إذن فهي ابنة "**شارل دي سان ريمي**" الابن الأوحد لـ"**هكتوردي سان ريمي**" تذكرت الآن .. إن "**شارل**" هذا كان قد رحل إلى "**إنجلترا**" لشأن ثم اقترن بسيدة أيرلندية .. ولكنه غرق مع زوجته في حادث تصادم بين باخرتين.. نعم. نعم إنني سمعت بهذه الحكاية في العام الذي جئت فيه إلى هذه المنطقة.. وإذن فالفتاة هي حفيدته !!!

ولم يطق "**تريد جولد**" صبرا أكثر من ذلك فقال للقس :

– عفوا يا سيدي . إن كل هذا لا أهمية له في الوقت الحاضر .. إنما المهم هو الحادث المخيف الذي وقع في هذا القصر .. فقد قُتل رجل هنا هذه الليلة .

وهنا ظهرت على وجه القس علامات الانزعاج . وهتف :

– رجل قُتل هنا !!

– نعم .. رجل يدعى "**آدمز**" .. كان يقيم معنا في المصيف .. وهناك من الأسباب ما يحملني على اتهام ذلك الشريد الذي يحوم حول هذا القصر والذي يدعوه القوم في هذه الناحية بـ"الأعور" .

فقطب القس حاجبيه . وقال :

– لقد بدأ بقتل حارس الطاحونة .. ثم ارتكب هذه الجريمة الثانية .. إذن فقد كان "**روفيير**" على حق .. من هو القتيل ؟؟؟

– إنه يُدعى "**آدمز**" .. "**جريون آدمز**" ..

فدهش القس وغمغم :

– هذا مستحيل !

– هل كنت تعرفه ؟!

ولكن القس تغاضى عن هذا السؤال وقال :

– ولكن كيف حدث هذا ؟

فهز "**تريد جولد**" كتفيه وأجاب :

– كل ما نعلمه عن هذا مجرد حدس وتخمين . وقد وجده الخادم منذ عشر دقائق مصابا بطعنة في القلب . وممددا في أرض إحدى الغرف .

– وأين الجثة الآن ؟!

– في غرفة الاستقبال . ونحن لم ننقلها من موضعها .

– دعني أنظر إليها .

وما هي إلا لحظة حتى كان القس واقفا أمام الجثة .

وقد أخذ الدكتور "**وود**" يشرح له ملاحظاته عن الجرح . ثم تحدث "**تريد جولد**" عن آثار القدم الملطخة بالدماء وعن الملابسات التي تحمله على الارتياب في "الأعور" .

أصغى القس إلى حديث الرجلين بانتباه عظيم ، ثم قال أخيرا :

– لا يوجد مركز للبوليس إلا في "**تروابون**" أي على مسافة 27 كيلو مترا تقريبا من هنا . ومهما يكن من أمر فإن رجال بوليس "**كويبك**" هم المكلفون بمعالجة أمثال هذه الجرائم بأمر النائب العام . وعلى ذلك فسأبرق إلى النائب العام

ليرسل من يضطلع بتحقيق القضية . وسأمر في طريقي بالعمدة وقاضي التحقيق المحلي فأنبئهما بالحادث . ولا شك عندي في أنهما سيأمران بإلقاء القبض على "الأعور" إذا قضت الضرورة بذلك . ولما كانت شهادتكما وأقوالكما على جانب عظيم من الأهمية فإنني أرجوكما في البقاء هنا ريثما يحضر العمدة والمحقق المحلي . فحنى "**تريد جولد**" رأسه باحترام وقال :

– إننا نضع أنفسنا تحت تصرف السلطات ذات الشأن

وصمت القس لحظة ثم قال :

– ولم يكن بودي قبل الآن أن أزعج الفتاة بالأسئلة أما الآن بعد اكتشاف هذه الجريمة فإنني أرى من الضروري إخطارها لعلها تستطيع أن تميط اللثام عن الحقيقة . فتحدث إليها في الموضوع يا سيد "**تريد جولد**" . وانقل بعد ذلك أقوالها إلى قاضي التحقيق .

وودع القس الرجلين ثم دلف إلى غرفة الفتاة وشيعه الخادم "**جاك**" بعد ذلك إلى الباب الخارجي .

- 10 -

وقفت الفتاة بباب الغرفة وقالت بصوت هادئ :

– أنبأني القس أنكما تريدان التحدث إليّ .

وكانت قد كفكفت دموعها وملكت نفسها .. فقدم إليها الدكتور "**وود**" صاحبه الذي سألها بقوله :

– ألست الآنسة "**دي سان ريمي**" ؟

فأومأت برأسها علامة الإيجاب ثم قالت :

– أرجو المعذرة لحظة .

قصدت إلى أحد الدواليب وأخرجت منه بعض الشموع ودفعتها إلى "**جاك**" وقالت له :

– أضيء هذه الشموع حول فراش جدي .. ومتى بزغ الفجر انطلقنا إلى البرية لجمع بعض الأزهار .

انصرف الخادم . وعادت إلى حيث كان "**تريد جولد**" والطبيب في انتظارها . قال الأول :

– نحن نرجوك يا آنسة أن تتقبلي خالص عزائنا لك فيما أصابك . وإنه يعز علينا أن نزعجك في أساك وحزنك ولكن ظروفا لم تكن في الحسبان ...

فقاطعته قائلة :

– ألا تتفضل أنت وصديقك بالجلوس ؟

فقدم إليها الطبيب مقعدا ولكنها هزت رأسها وقالت :

– كلا .. شكرا لك .. إنني أفضل الوقوف .

فجلس "**تريد جولد**" وهو يقول :

– هناك بعض أسئلة ....

فقاطعته الفتاة مرة أخرى بأن قالت في لطف :

– إنني على استعداد لإجابتك إلى كل ما تطلب معرفته .

– هل تعرفين يا آنسة رجلا يدعى "**آدمز**" .. "**جريون آدمز**" وهو محام من "**تورنتو**" ؟

فحنت رأسها وأجابت :

– نعم .

– ماذا جاء به إلى القصر هذه الليلة ؟

فلم تجب على الفور ، وشعر "**تريد جولد**" بأنها صمتت أطول مما يجب فرفع

رأسه وسألها في لطف :

– ألم تعلمي أنه جاء إلى القصر ؟

فهزت رأسها سلبا ..

– هل كنت تعلمين أنه يقيم في المصيف ؟

فهزت رأسها مرة أخرى ... ونظرت إليه في فضول .فقال "**تريد جولد**" وهو ينظر إليها بإشفاق :

– إذن يجب أن تُعدي نفسك لمفاجأة سيئة يا آنسة . إن السيد "**آدمز**" وُجد مقتولا .

فقطبت الفتاة حاجبيها وهتفت بصوت أجش :

– وُجد مقتولا ؟!

– إن النبأ لا يسر . ولكن يجب أن تعلمي الحقيقة .. فالسيد "**آدمز**" وجد مطعونا في قلبه ..

وهنا راعه الانتقال الفجائي الذي طرأ على سحنة الفتاة بيد أنها لم تتراجع ولم يبد عليها شيء من دلائل الفزع .

واستطرد "**تريد جولد**" :

– لقد وجده خادمك مقتولا في غرفة الاستقبال . بعد وصول القس ببضع دقائق .

فرفعت الفتاة منديلها إلى فمها ، وسألت :

– ولكن من .. من الذي قتله ؟؟

– هذا ما نحاول معرفته . بيد أننا الآن أمام نقطتين نرجو بمساعدتك أن نستوثق منهما . فأولا كم كانت الساعة عندما قصدت إلى غرفة جدك ؟!

فنظرت إليه نظرة جوفاء أدرك منها أنها لم تفهم سؤاله فأعاده على سمعها

فأجابت :

– إنني نظرت إلى ساعتي فألفيت الوقت قد جاوز الحادية عشرة .

فظهرت على وجه "**تريد جولد**" علامات الارتياح . وقال الطبيب :

أذكر أن الآنسة قالت لي : إنه خُيّل إليها عندما استيقظت من نومها أنها سمعت صرخة مرتفعة .

وتحوّل إلى الفتاة وسألها :

– أتظنين أن هذه الصرخة بدرت من جدك ؟!

– لا أستطيع أن أجيبك على وجه التحقيق .. فأنت تعلم كيف يكون شعور الإنسان حين يستيقظ على صوت فجائي .. لقد خُيل إليّ أن صدى صرخة يتردد في أذني . وليس في مقدوري أن أحلل هذا الصدى تحليلا صحيحا .

فأشار "**تريد جولد**" إلى نافذة الغرفة وسأل :

– هل كانت هذه النافذة مفتوحة عندما دخلت الغرفة ؟

فأطرقت برأسها وأجابت :

– نعم .

– وهل كانت الغرفة في ظلام دامس ؟

– نعم . وقد جئت معي بشمعة . وأذكر أنني سألت "**جاك**" بعد ذلك عما صنع بالمصباح . فأجابني بأنه تركه مضاء عندما قصد إلى فراشه .

– والمصباح مصنوع من النحاس الأصفر . وعليه مظلة من الزجاج الأبيض.. أليس كذلك ؟!

– بلى .

– توجد غرفة استقبال كبرى في الجانب الآخر من البهو .. فهل كنتم تستخدمونها ؟!!

– لا .. كل ما هناك أنني تفقدت غرف القصر يوم قدومنا .. فلم ندخل الغرفة التي تتحدث عنها إلا مرة واحدة

– ومتى وصلتم إلى هذا القصر ؟!

– منذ أربع ليالٍ .

فتريث "**تريد جولد**" لحظة ثم قال :

– إنني لا أريد أن أقول شيئا يؤلمك .. ولكن هل لدى جدك من الأسباب ما يحمله على كتمان نبأ إقامته في هذا القصر ؟!

فاحمرَّ وجهها ولكنها أجابت :

– نعم .. كانت لديه بعض الأسباب . ثم استطردت في كبرياء :

– ولكنها أسباب لا تدعو إلى الخجل ..

– أنا لا أعني ذلك يا آنسة .. كل ما هناك أنني أسائل نفسي عن الأسباب التي حملته على العودة إلى القصر .

فأجابت وشفتاها ترتجفان :

– إنه كان مريضا .. ولابد أنه شعر بدنو أجله .. فرغب في رؤية القصر لآخر مرة .

فنظر إليها "**تريد جولد**" نظرة عطف وإشفاق ثم قال :

– فهمت .. ولكن كيف استطعتم الوصول إلى هنا دون أن يشعر بذلك أحد ؟

فترددت الفتاة لحظة ثم أجابت :

– إننا ركبنا الزورق البخاري من "**كويبك**" إلى "**تروابون**" وكان "**جاك**" قد سبقنا فانتظرنا مع "**ماتياس**" بالقارب الذي جاء بنا إلى هنا عن طريق النهر...

– "**ماتياس**" ؟ هل هذا هو اسم الرجل الملقب بـ"الأعور" ؟ متى رأيت هذا

الرجل آخر مرة ؟

– رأيته آخر مرة بعد ظهر أمس . وقد أنبأني "**جاك**" أنه جاء الليلة قبيل موعد العشاء . ولكنني لم أره .

– هل كان بين "الأعور" و"**آدمز**" شيء من النفور ؟؟

– لا أعلم .

ولكنها سرعان ما أدركت الغرض الذي يرمي إليه "**تريد جولد**" فهتفت :

– لا شك أنك لا ترمي إلى اتهام هذا الرجل التعس .لا لشيء إلا لأن قساة القلوب يزعمون أنه هو الذي قتل حارس الطاحونة . . .

كلا . . كلا . . لا تصدق أقوال الناس . إنهم يكذبون . إن "**ماتياس**" غريب الأطوار حقًّا . . ولكنه لا يؤذي ذبابة .

– إذن يجب أن تعلمي أنه تسلل أمس إلى (كبينة) السيد "**آدمز**" في المصيف ففاجأه "**آدمز**" وألقى القبض عليه، وعامله معاملة خشنة، قاسية . .

وقد قال لي "**آدمز**" إن "الأعور" كان يبحث في الكبينة عن شيء ولكنه لم يذكر لي ما هية هذا الشيء .

– إن "**ماتياس**" لم يقتل هذا الرجل . أنا واثقة بذلك .

فهز "**تريد جولد**" كتفيه، وقال :

– لنترك هذا الموضوع الآن . . قلت : إنك لم تعلمي بوجود "**آدمز**" في المصيف . . ولكن هل كان جدك يعلم بوجوده ؟

فهزت رأسها بسرعة وأجابت :

– لو أنه علم لما تردد في أن يقول لي ذلك .

– أظن أن "**آدمز** " كان صديقا قديما لأسرتكم ؟

– الواقع أنه يمت إلينا بصلة نسب . . فإنه ابن زوج عمتي " **أنيتا** "، وعمتي

"**أنيتا**" هي في الواقع صغرى شقيقات جدي .. وقد تزوجت برجل أرمل يدعى "**آدمز**" وكان لهذا الأرمل ابن من زوجته الأولى هو السيد "**جريون آدمز**" الذي تقول إنه قُتل .

وهنا قال الطبيب :

– إن هذا الإيضاح يفسر لنا أشياء كثيرة .. لقد حذرت الآنسة ليلة أمس وقلت لها : إن أي انفعال قد يدني أجل جدها فمن المؤكد إذن أن الشيخ شهد ارتكاب الجريمة، أو أنه عثر بجثة القتيل فجأة . فكانت الصدمة شديدة وترتب عليها أن أصابته تلك النوبة القلبية التي قضت على حياته .ولما كان القتيل هو.. ولكن "**تريد جولد**" لم يكن يصغي إليه .. بل كان منصرفا إلى تأملاته . فما لبث أن قاطع الطبيب بأن هتف :

– صبرا لحظة .

وخرج مسرعا . فشيعته الفتاة ببصرها حتى توارى .

ثم سألت الطبيب بقولها :

– لماذا يتدخل هذا الرجل فيما ليس من شأنه ؟ !

– الواقع أن القس هو الذي طلب إليه إجراء هذا التحقيق .. بيد أن قاضي التحقيق سيحضر في التو واللحظة .

وفي هذه اللحظة عاد "**تريد جولد**" فانتحى بالطبيب ناحية وقال له بصوت خافت :

– لقد فحصت حذاء الشيخ المتوفى ظنا مني بأن ذلك الأثر هو أثر قدمه ولكني ألفيت حذاءه نظيفا .

وما أتم "**تريد جولد**" كلامه حتى سمع الجميع وقع أقدام تقترب ثم فُتح الباب ودخل ثلاثة رجال . ما كاد "**تريد جولد**" يرى أولهم . حتى ظهرت على

وجهه علامات الدهشة .

ذلك أنه عرف في أول القادمين التاجر "**جوزيف روفيير**" .

تقدم "**روفيير**" في نشاط ، ورفع قبعته للفتاة محييا ، وكان مظهره يدل على أنه قد ارتدى ثيابه على عجل ، فقد بدت ثيابه غير منتظمة تحت معطف من الجلد ، وكان ينتعل في قدميه نعلا (شبشبا) ..

وتبعه إلى الداخل رجل ضئيل الجسم ، عرف فيه السيد "**تريد جولد**" الأستاذ "**بوشيرون**" مسجل العقود الذي قابله في منزل القس ..

قال "**روفيير**" في رزانة :

– لقد أخبرني القس "**بازين**" بأننا سنجدك هنا يا سيد "**تريد جولد**" .

وتفرس في "**وود**" قليلا ثم استطرد قائلا :

– وأظن أن هذا السيد هو الدكتور "**وود**" ..

ثم قال وهو يشير إلى رفيقيه :

– اسمحوا لي أن أقدم إليكم أيها السادة ، الدكتور "**كوتييه**" قاضي التحقيق، والأستاذ "**بوشيرون**" محامي عائلة "**سان ريمي**" ومسجل عقودها .

وقال المحامي يخاطب الفتاة :

– أرجو أن تسمحي يا آنسة لشخص شرّفه جدك المرحوم وجعله موضع ثقته بأن يقدم إليك أصدق تعازيه ..

وخُيّل إلى "**تريد جولد**" أن الفتاة لم تتقبل هذه المجاملة كما ينبغي ، بينما استطرد "**بوشيرون**" قائلا :

– إن العمدة قد اتخذ على الفور كافة الإجراءات للاقتصاص لهذه الجريمة المروعة التي أودت بحياة السيد "**آدمز**" فإنه ما كاد يتلقى إشارة القس "**بازين**" في هذا الصدد ، حتى طلب إليّ أن أذهب مع الخباز "**نارسيس لافوامبواز**"

للبحث عن ذلك الشرير الذي أفلت حتى الآن من طائلة القانون وقد وجدناه وقبضنا عليه .

وهنا فقط أدرك "**تريد جولد**" على الفور أن "**جوزيف روفيير**" هو العمدة ، وقد رأى أنه يقرر التهمة كأنما أمر واقع مفروغ منه ، فقال في شيء من القلق :

– أرجو ألا يفوتك أن الدليل على جرم ذلك الرجل هو مجرد استنتاج حتى هذه اللحظة .

فقال العمدة :

– هل حدثت الفتاة بشأن هذه الجريمة ، كما اقترح القس ذلك ؟

فقرر "**تريد جولد**" أن الآنسة "**دي سان ريمي**" لم تستطع أن تلقي شيئا من الضوء على وجود "**آدمز**" في القصر، وأنه يلوح أنها لم تره أو تشعر به حينما قدم إلى القصر ، وكذلك الحال مع الخادم . ثم استطرد قائلا :

– وهي صريحة في قولها ! إنها لم تكن تعلم هي أو جدها بوجود "**آدمز**" في المصيف ..

– ومتى جاء إلى هذا المصيف ؟

– لقد أخبرني بأنه قدم يوم الأحد ..

– لم يسمع أحد منا في القرية بوجوده هنا .. ثم إن "**آنج ترمبلاي**" لم يكن يعرفه .. ومما لا ريب فبه أن السيد "**آدمز**" لم يكن يعلم قط أن صاحب القصر قد رجع إليه ، وإلا لحضر إلى هنا قبل هذه الليلة .

– لقد قررت الفتاة أنه يمت بصلة النسب إلى العائلة .

– هو ما تقوله .. ولكن العلاقة بينه وبين صاحب القصر كانت سيئة .

خفض صوته واستطرد يقول :

– إن الشائع على كل لسان هو أنه لو لم يفر السيد "**دي سان ريمي**" إلى

"**فرنسا**" منذ ثلاث سنوات ، لكان السيد "**آدمز**" قد قاده إلى السجن ..

فأومأ "**تريد جولد**" برأسه وقال :

– لقد ألمح لي "**آدمز**" بشيء كهذا .. ولكن ما سر هذا العداء الذي كان بينهما

إنني لم أقف على كافة التفاصيل التي تتعلق بهذه المسألة كما أن الأستاذ "**بوشيرون**" من الأشخاص الذين لا يتفوهون بكلمة عن موكليهم ، ولكني مع ذلك قد فهمت أن السيد "**دي سان ريمي**" ، قد عهد إليه بالإشراف على استغلال أموال خاصة بشقيقته "**أنيتا**" ، على أن يؤدي إليها ما في ذمته عند زواجها . ولا تنسَ أن الآنسة "**أنيتا**" قد تزوجت فيما بعد والد السيد "**آدمز**" ..ولما تُوفي السيد "**بيبر**" والد "**أنيتا**" وأخوها السيد "**دي سان ريمي**" ، اتفقت الآراء على وجوب إبقاء التركة يديرها الأخ كما كان يفعل من قبل ، على أن تأخذ أخته الريع فقط كالمتبع .. وحدث بعد ذلك أن تُوفي زوج الأخت الذي هو والد السيد "**آدمز**" ، وأراد هذا أن يصفي تركة والده ، فذهب إلى السيد "**دي سان ريمي**" مطالبا بالأموال التي أؤتمن عليها ولشد ما كان جزعه حينما رأى أنه قد بددها، وأن ما بقي من التركة أصبح مثقلا بالديون . بيعت الأملاك المحيطة بالقصر بعد ذلك ، وفر السيد إلى "**فرنسا**" .. وأشيع على الأثر أن "**آدمز**" قد أقسم أن يزج به في السجن إذا وطئت قدماه أرض "**كندا**" ..

وهنا قال "**تريد جولد**" :

– إذن هذا هو السر في أنهما كتما أمر وجودهما هنا .

وقال القاضي أخيرا وكان واقفا بجانب "**وود**" :

– ماذا نفعل الآن يا "**جوزيف**" ؟ هل نذهب لمعاينة الجثة ؟

وانتقل الجميع إلى قاعة الاستقبال حيث كانت الجثة .

ولقد لاحظ "**تريد جولد**" أن القاضي وإن كان يباشر التحقيق كما يملي عليه منصبه ، إلا أن العمدة هو الذي كان يوجهه ..

انحنى "**روفيير**" فوق الجثة ، وما لبث أن أشار إلى "**وود**" أن يقترب منه ، وراح يلقي عليه سيلا من الأسئلة عن سبب الوفاة وموعدها بالتقريب ، وعن طبيعة السلاح الذي ارتكبت به الجريمة ، وأين كان القتيل واقفا حينما أصابته طعنة القاتل ..

قال الطبيب حين نقل إليه "**تريد جولد**" مؤدي هذه الأسئلة بالإنجليزية : إنه يعتقد أن "**آدمز**" قد شاهد من الخارج ضوءا ينبعث من نافذة غرفة الطعام . فدخل الغرفة .ولما لم يجد بها أحدا حمل المصباح وشرع يتفقد جوانب القصر، ولما وصل إلى غرفة الاستقبال سمع صوتا مريبا في قاعة الطعام فأراد أن يتخلص من المصباح فوضعه على الأرض، وهمَّ بأن يحول وجهه إلى الباب . وفي هذه اللحظة وثب عليه القاتل الذي كان قد تبعه من غرفة الطعام وطعنه الطعنة التي قضت عليه .

وقد اقتنع "**روفيير**" بهذا التعليل والاستدلال . فغمغم قائلا :

– لابد أن هذا ما حدث بالضبط . ولكن ألم تجد السكين أو الخنجر الذي ارتكبت به الجريمة ؟؟

فأجاب "**تريد جولد**" إنه لم يعثر على السلاح الذي ارتكبت به الجريمة ، وإن الدكتور "**وود**" يعتقد أن هذا السلاح ليس سكينا، ولكنه مثقاب، أو أداة من هذا النوع .

فأطرق برأسه موافقا .. وكان من رأيه أن المثقاب ليس أداة يتعذر على "الأعور" الحصول عليها .

وقد كان العمدة أول من لفت نظر قاضي التحقيق إلى وجوب الاحتفاظ

بالمصباح وصيانته ليتمكن رجال البوليس من نقل بصمات الأصابع التي عليه وكان هو الذي فتش جيوب القتيل ، ولكنه لم يجد بها شيئا يستحق الذكر .

كان كل ما عثر عليه مع القتيل هو علبة تبغ ومجموعة من المفاتيح، وحافظة أوراق، ورخصة قيادة سيارة، وبعض بطاقات زيارة، ومجموعة من الأوراق المالية أحصاها فوجدها 250 دولارا . قال :

– هذا يدل على أن السرقة لم تكن الدافع إلى الجريمة وقد وجد في صدار القتيل رسالة من مكتب السيد "**فورجيرون**" صاحب المصيف ينبئه فيها بأنه احتجز له كبينة على شاطئ البحيرة ووجد مع هذه الرسالة قائمة حساب من أحد الفنادق .



ولما فرغ قاضي التحقيق من تكوين رأيه .ابتعد بالعمدة قليلا وراح يتحدث إليه في همس .

ومن ثم أرشده "**تريد جولد**" إلى القدم الملوثة فاهتم الدكتور " **كوتييه**" بهذا الأثر اهتماما عظيما .. وأخرج من جيبه مقياسا خاصا .. سجل به قياس القدم.

وفي هذه الأثناء كان "**روفيير**" يتعقب آثار القدم الملوثة بإرشاد "**تريد جولد**" بينما كانت الآنسة تستقبل راهبتين بعث بهما القس للسهر على جثمان جدها.

انتهز "**روفيير**" هذه الفرصة وعاد أدراجه إلى قاضي التحقيق وقال له :

– لننتهز فرصة غياب الفتاة وننقل الجثة من هنا .

– حسنا ..

– نستطيع حملها إلى مخزن الحنطة في منزلك .. كما فعلنا بجثة حارس الطاحونة ..

وحدث عند رفع الجثة من مكانها أن عثر "**روفيير**" تحتها على قلم مذهب فدفع به إلى قاضي التحقيق، ثم رافق الجثة حتى وضعت في سيارته .

- 11 -

أُدخل (الأعور) المتهم بقتل السيد "**آدمز**" إلى الغرفة التي أُرتكبت فيها الجريمة. وكان الرجل رث الثياب وفي حالة يرثى لها . فتأمله "**تريد جولد**" عن كثب . وشعر في الحال بأنه أمام مخلوق ضعيف الإدراك ولكنه ليس مجنونا . وأعد القوم مائدة وقتية من بعض ألواح الخشب بسطت فوق برميلين كبيرين ، وجلس قاضي التحقيق فوق مقعد جيء به من القصر ، وظل الباقون وقوفاً .

وافتتح مسجل العقود إجراءات التحقيق فوجه حديثه إلى القاضي قائلا :

– لقد قصدت بصحبة الأخ "**لافوامبواز**" إلى كوخ هذا المتهم ، طبقا لأمر العمدة ، فألفيناه نائما .. وعانينا كثيرا في إيقاظه؛ لفرط ما شرب أمس .. فلما أفاق أخبرناه بأن أحد المصطافين قد قتل داخل القصر وأن الشبهة تحوم حوله ، ولكنه لم يجب ..

ووضع مسجل العقود مدية للصيد في غمدها فوق المائدة ثم استطرد قائلا :

– لقد عثرنا على هذه المدية معلقة في وسطه .. ولكنها نظيفة .. ولم نشاهد دماء على ثيابه ..

فتناول الدكتور "**كوتييه**" المدية وأخرجها من غمدها وجعل يفحصها ثم ناولها الدكتور "**وود**" وقال وهو يحدق إلى المتهم من فوق نظارته :

– "**ماتياس**" .. إن رجلا من نزلاء المصيف يُدعى "**آدمز**" قد قُتل في القصر هذه الليلة .. هل تفهم ما أقول ؟ .. لقد قُتل بطعنة خنجر فما قولك في ذلك؟

فجعل "الأعور" يحدق إلى القاضي دون أن ينبس بكلمة واحدة ، فاستطرد

هذا قائلا :

– هيا .. تكلم .. لقد علمنا أنه اعتدى عليك أمس .. فهل قتلته انتقاما لما أصابك منه ؟

ولكن المتهم أصر على صمته . فقال الدكتور "**كوتييه**" :

– ما السبب في دخولك سرا إلى (كبينة) القتيل ؟

هل كنت تنوي سرقته ؟

فهز الرجل رأسه . ثم أشار بإصبعه إلى ناحية "**تريد جولد**" وتمتم قائلا :

– لقد رأيته . فأردت أن أعرف ماذا يريد ..

فقال "**روفيير**" يفسر قوله :

– هذا صحيح ، فإن السيد "**تريد جولد**" أخبرني بأنه مر بمقربة من القصر بعد ظهر أمس ، وأن "الأعور" قد شاهده .. لكن هذا لا يفسر لنا لماذا انسل إلى داخل كبينة القتيل ..

فقال "الأعور" في صوت أجش :

– لقد أردت أن أرى ...

وكف عن إتمام عبارته ، فقال القاضي :

– هل تريد أن تقول إنك شاهدت رجلا حسبته السيد "**آدمز**" ؟

فأومأ "الأعور" برأسه مجيبا ، واستطرد القاضي قائلا :

– وإنك جئت إلى الكبينة لتتأكد من أنه هو ؟ ..

حسنا .. إذن فقد كنت تعرفه من قبل ؟

– نعم كنت أعرفه من زمن طويل .. حينما تزوجت الآنسة "**أنيتا**" .. فإنها وزوجها كانا يدعوانه إلى القصر ..

فقال القاضي :

– لكن ما علاقتك أنت بـ"**آدمز**" ؟

– لقد كان عدوا للسيد "**هكتور دي سان ريمي**" ..

وهنا تدخل الأستاذ "**بوشيرون**" مسجل العقود قائلا :

– كان المعروف في الأعوام الأخيرة أن العلاقات بين السيد "**هكتور**" والسيد "**آدمز**" ليست على ما يرام .

ثم هز كتفيه واستطرد قائلا :

– لكن هل يعرف سيدي القاضي تلك العقيدة التي تسيطر على هذا المخبول .. إنه يعتقد أن كل غريب يأتي إلى هنا إنما يريد أن ينتزع القصر من صاحبه ..

وفي هذه اللحظة فُتح الباب وأقبلت الفتاة . لكنها لم تعبأ بنظراتهم وتقدمت حتى وقفت بجوار المتهم .

وقال "**روفيير**" يسأله :

– هل أخبرت السيد "**هكتور**" بأن السيد "**آدمز**" يقيم بالمصيف ؟

فأطرق "الأعور" برأسه علامة الإيجاب ، وجعل يخالس الفتاة النظر ، فخُيِّل إلى "**تريد جولد**" أنها قد فوجئت بهذه الإجابة الصامتة . قال العمدة :

– ومتى كان ذلك ؟

فقال "الأعور" وقد لاحظ "**تريد جولد**" أنه ينظر إلى الفتاة خلسة وفي شيء من القلق :

– في هذه الليلة ...

فقال القاضي والعمدة في وقت واحد :

– هذه الليلة ؟ .. فقال المتهم :

– كان السيد "**هكتور**" مريضا طول النهار .. ولم أستطع أن أخبره قبل

ذلك . .

فقال "**روفيير**" :

– ولماذا لم تخبر الآنسة ؟

– لأني لم أرها كذلك . . وقد أخبرني " **جاك**" بأنها مع جدها وينبغي عدم إزعاجها . . أما في هذه الليلة فقد أحضرت معي خبزا وبيضا وأردت أن أوصل هذا الطعام إلى "**جاك**" فقابلت السيد "**هكتور**" بباب المطبخ ، وأخبرته . .

وهنا قالت الفتاة في رزانة :

– متى حدث هذا يا "**ماتياس**؟

فأطرق "الأعور" برأسه ولم يستطع أن يعين الوقت ، على أنه لم يلبث أن قرر أنه سمع ساعة الكنيسة تدق العاشرة حينما كان يقصد إلى القرية :

فقال القاضي في صوت حاد :

– أتعني أنك تركت السيد "**هكتور**" بعد تلك المقابلة وتوجهت إلى القرية ؟

– نعم وذلك بناء على أمره . .

– ولماذا ؟

– لاستدعاء الأستاذ "**بوشيرون**" .

فصاح مسجل العقود قائلا :

– لاستدعائي أنا ؟

والتفت إلى القاضي قائلا :

– هذه أول مرة أعلم بذلك . . ولكني على كل حال كنت غائبا عن المنزل طول النهار في جهة "**ترواَبون**" ولم أعد إلا في ساعة متأخرة . .

ثم انثنى إلى المتهم قائلا :

– هل أتيت إلى منزلي ؟ . . إن غرضي من هذا السؤال يا سيدي القاضي ، هو

أن أقرر أن خادمي لا يبيت في المنزل وإذا كان هذا الرجل قد جاء في الساعة الحادية عشرة ، ففي هذا الوقت لم يكن أحد بالمنزل لمقابلته .

فقال القاضي :

– مهلا يا أستاذ "**بوشيرون**" ، فإنك تكاد تربكني بأقوالك المتتابعة ..

ثم تحول إلى المتهم قائلا :

– قلت إن سيدك أرسلك لاستدعاء الأستاذ "**بوشيرون**" فقرر "الأعور" أن السيد "**هكتور**" أمره أن يخبر الأستاذ "**بوشيرون**" بأنه يريده في مسألة عاجلة ، وبأنه يود أن يراه في نفس الليلة . لكنه حينما توجه إلى منزل مسجل العقود وطرق الباب لم يجبه أحد ، ولذلك عاد أدراجه .

– وكم كانت الساعة حينما ذهبت إلى مسكنك ؟

وهنا بدت على وجه الرجل دلائل القلق ، ولم يلبث أن قال في حذر :

– لا أدري. فقال العمدة :

– هل أسرفت في الشراب الليلة ؟

– لقد كان المطر يهطل .. ولابد من شيء يدفع البرد .

فقال القاضي يحدث العمدة :

– ألم أقل لك من قبل يا "**جوزيف**" : إن الشراب لا يزال يباع في القرية ؟..

ثم نظر إلى المتهم في صرامة وقال :

من أين ابتعت الشراب ؟

فلزم "**ماتياس**" الصمت . أما "**روفيير**" فإنه قال :

– وماذا يهم معرفة المصدر الذي ابتاعها منه ؟ إن ما حدث بعد ذلك واضح كل الوضوح ، إنه يكذب حين يزعم أنه قصد إلى مسكنه .. والواقع أنه ذهب إلى القصر؛ كي يخبر السيد "**هكتور**" بأنه لم يجد الأستاذ "**بوشيرون**" ... ولا

شك أنه صادف "**آدمز**" في القصر ، فقتله وهو تحت تأثير الشراب .

ونظر "**روفيير**" إلى المتهم واستطرد قائلا :

– أليس هذا ما حدث ؟ هيا أيها "الأعور" .. إن الإنكار لن يجديك شيئا .. لقد قتلت "**آدمز**" ..أليس كذلك ؟

وأمسك "**روفيير**" بخناق المتهم وجعل يهزه بعنف قائلا :

– أجب أيها اللعين .. أجب ..

فوثبت الفتاة إلى الأمام وصاحت قائلة :

– دعه وشأنه .. ألا ترى أنك تُدخل الفزع إلى نفسه ؟ إنك تعلم أنه مصاب بضعف في قواه العقلية .. فمن النذالة والخسة أن تعامله على هذا النحو .. إنني أؤكد أن هذا الرجل المسالم لا يمكن أن يقدم على اقتراف جريمة كهذه .. لقد استولى عليه الآن الاضطراب والفزع .. وهو لا يعقل ما يقول .. دعني أخاطبه على انفراد .. وسوف أجعله يجيبكم إلى كل ما تودون الوقوف عليه.

فرفع "**روفيير**" رأسه فجأة .. وسمع في هذه اللحظة صوت عجلات في الخارج .. وما هي إلا هنيهة حتى فُتح الباب ، ودخل منه رجل يحمل في يده حذاء ..

وتقدم الرجل إلى المائدة ، ووضع الحذاء أمام القاضي ، وقال في إيجاز :

– لقد وجدنا هذا مخبوءا في سقف كوخ "الأعور" ..

فتناول القاضي الحذاء وجعل يقلبه بين يديه .. فإذا هو رث بال ، ملطخ بالوحل ، تعلوه بقع حمراء اللون ..

ورفع الحذاء إلى أعلى وسأل :

– هل هذا حذاؤك يا "**ماتياس**" ؟

فشخص الجميع بأبصارهم إلى المتهم .. فرأوه يطرق برأسه وقد أخذت عينه الوحيدة تختلج ذات اليمين وذات الشمال في يأس واستسلام ..

وتناول القاضي من جيبه دفتراو (مقياسا) وشرع يقيس الحذاء ويضاهي النتائج بما هو مسطور لديه في الدفتر عن حجم آثار الأقدام التي عثر عليها قرب جثة القتيل ، وما لبث أن رفع رأسه ونظر إلى العمدة قائلا :

– إن النتائج متطابقة ..

فقال "**روفيير**" :

– أرى أن تأمر باعتقاله .. فإن القانون يخولك هذا الحق ..

وانحنى فوق القاضي وأخذا يتهامسان فيما بينهما ..

أما الفتاة فلم تبرح مكانها .. وإنما راحت تحدق في وجل واضطراب إلى وجه ذلك المخبول الذي طاش عقله جزعا ..

وأجال "**وود**" الطرف حوله فوجد أن "**تريد جولد**" قد اختفى فلمس ذراع الفتاة وقال لها :

– يحسن بك الآن أن تغادري هذا المكان ..

ورأى "**وود**" في البهو راهبة تصلي . فأفهمها في فرنسية متعثرة ، أن الفتاة بحاجة إلى الراحة . وأجابته الراهبة إنه لا بأس من بقاء الآنسة "**أدريين**" مؤقتا في القصر تحت رعايتها ورعاية زميلة لها ..

إذن فالفتاة تدعى "**أدريين**" .. استعذب "**وود**" هذا الاسم وراح يردده في سره .. لكن الفتاة لم تنبس ببنت شفة ولم ترسل إليه نظرة واحدة .. وإنما كان يلوح عليها اضطراب شديد حتى لتكاد تسقط إعياء ..

وطلب "**وود**" إلى الراهبة أن ترافق الفتاة إلى غرفتها وقال لها :

– سأترك لها عقارا يهدئ أعصابها ويجلب لها النوم .

ولما خرجتا تذكر أنه ترك حقيبته الصغيرة في غرفة الميت ، فذهب للبحث عن "**جاك**" ليأتيه بها .

وألفى "**وود**" المطبخ خاليا . ففتح الباب الخارجي ، ورأى "**تريد جولد**" واقفا في ممشى الحديقة ، وقد عقد يديه خلف ظهره ، واستغرق في تفكير عميق .. فقال الطبيب :

- ماذا بك يا صاحبي ؟

فانتقض "**تريد جولد**" وهتف قائلا :

آه ! .. هذا أنت يا "**جورج**" .

- أراك تبحث هنا ، فهل عثرت على آثار جديدة ؟

فهز "**تريد جولد**" رأسه سلبا .

ثم قال "**وود**" فجأة :

- هل قَدِم القس في سيارة ؟

- أظن ذلك .. أو على الأقل لقد سمعت صوت محرك سيارة حينما انصرف ..

- ألم تلاحظ أنه كان ينتعل في قدميه حذاء من المطاط فوق حذائه العادي اتقاء للمطر ؟

- لا لم ألاحظ .. ولكن لم هذا السؤال ؟ ..

- لا شيء .. إنها فكرة عارضة ..

- حسنا .. لقد رأيت أنهم يتهمون "الأعور" ..

- هذا ما يلوح لي ..

ورأى الطبيب "**جاك**" في المطبخ ، فكلفه باستحضار حقيبته وقال محدثا "**تريد جولد**" :

– يجب أن نتأكد قبل الانصراف من أنهم لا يحتاجون إلينا وبينما كانا يسيران في الطريق إلى حجرة الاستقبال هتف "**وود**" فجأة وهو يثب نحو الباب المؤدي إلى البهو :

– هذا غريب . .

فقال "**تريد جولد**" وهو يلحق به :

– ماذا حدث ؟

فأشار الطبيب إلى الأسلحة المعلقة بالجدار وقال :

– انظر إلى هذه الحربة المثبتة بطرف البندقية . .إنني لا أتذكر أنني شاهدتها هنا من قبل .

فبدرت من "**تريد جولد**" صيحة مختنقة . . وراح يحملق نحو البندقية . . . وما لبث أن هتف قائلا :

– يا إلهي ! . . لا شك أنني كنت أعمى .

فنظر "**وود**" إلى "**تريد جولد**" متحيرا . ثم انحنى إلى الأمام وأخذ يفحص الحربة . . فإذا طولها لا يجاوز قدما واحدة . وفي مقبضها حلقة صغيرة ثُبتت بواسطتها في فوهة البندقية .

همس "**وود**" قائلا :

– انظر . . إن النصل مثلث الشكل . .

- 12 -

قال "**تريد جولد**" في صوت أجوف :

– لقد أخبرني الدكتور "**كوتيبه**" منذ نصف الساعة فقط ، حينما وقفت معه في الحجرة ننتظر وصول "الأعور" ، بأنه كان فيما مضى كثير التردد على هذا

القصر، وأنه كان يعلم بوجود (حربة) مثبتة بهذه البندقية .. وذلك لأن (الحربة) لم تكن موجودة حينما قال لي ذلك .. إنني لا أكاد أملك صوابي كلما فكرت في أنه قد لفت نظري إلى ضياع "الحربة" ، وأنني لم أعر هذه النقطة عناية كافية ..

أخرج من جيبه منديلا ولفه حول أصابعه ثم راح ينتزع "الحربة" من موضعها برفق وقال :

– إن من أعاد "الحربة" قد بذل جهده؛ حتى لا يترك أثرا فوقها ولكن لا يبعد أن يكون قد ترك أثرا ما عن غير وعي .

– أصغ إليَّ يا صاحبي .. إن هذا الاكتشاف الجديد يضاعف غموض القضية .. فإن "الأعور" لا يمكن أن يكون هو الذي وضع هذه (الحربة) مكانها؛ ذلك لأنه لم يأتِ إلى هنا إلا بعد أن رأيت أنت والقاضي أن الحربة غير مثبتة في البندقية .

– هو ما تقول ..

وفي هذه اللحظة فصل "**تريد جولد**" الحربة من البندقية وراح يفحصها بعناية وهو ممسك بها بواسطة المنديل ، وما لبث أن قال :

– هل أنت موقن من أن "**آدمز**" قد قتل بهذه الأداة ؟

– كل اليقين ..

تناول "**وود**" الحربة بالمنديل واستطرد قائلا :

– انظر إلى النصل كيف يتدرج حتى يصبح مدببا عند نهايته .. على أنه لا يمكن الجزم نهائيا بأن هذا السلاح هو الذي ارُتكبت به الجريمة إلى أن يفحص بواسطة المجهر ..

وإني أراهنك أنهم سيهتدون إذ ذاك إلى آثار دماء بشرية تتخلل جزيئات

الصدأ الذي يعلو النصل .. كما يُحتمل كذلك بفحص الجرح أن يُعثر به على ذرات من الصدأ ..

ولما رأى "**وود**" أن صاحبه قد أخلد إلى الصمت ، نظر إليه مستفسرا وقال يسائله :

– فيم تفكر ؟

فهز "**تريد جولد**" كتفيه وقال :

– إن "**جاك**" هو الذي عثر بالجثة ..

وفي هذه اللحظة ارتفعت أصوات صادرة من الممر ، فقال :

– يجب أن نعيد الحربة إلى مكانها .

وتناول "**تريد جولد**" السلاح من يد الطبيب ، وتقدم من الباب وأطل برأسه فشاهد القوم يقودون "الأعور" في البهو وهو بينهم حافي القدمين .. بينما وقف "**روفيير**" والقاضي يرقبان هذا المشهد عن كثب .

ولما أبصر القاضي بـ"**تريد جولد**" واقفا والحربة في يده أدرك الموقف في طرفة عين وقال "**تريد جولد**" :

– إن هذه الحربة . . .

فقاطعه "**روفيير**" :

– هل هي أداة الجريمة ؟ .. تعال يا سيدي القاضي ..

فقال الدكتور "**كوتييه**" :

– لقد أخبرت هذا الصديق من وقت وجيز .. أنني كنت أظن أن هذه الحربة قد ضاعت ..

فقاطعه "**روفيير**" قائلا :

– إن السيد "**تريد جولد**" يرى أن هذا السلاح هو الذي استخدمه

"الأعور" ..

فقال القاضي :

– نعم .. مما لا ريب فيه أن الجريمة قد أُرتكبت بسلاح مثل هذا .. ولكن كيف أُعيدت هذه الحربة إلى مكانها يا "**جوزيف**" ؟ .. كيف تُعلل هذه الظاهرة؟ وفي هذه اللحظة تقدم "**جاك**" حاملا حقيبة الدكتور "**وود**" ، فهرع إليه "**روفيير**" وسأله :

– هل أنت الذي عثرت على جثة السيد "**آدمز**" ؟

فقال الخادم :

– نعم ..

– ألم تبصر سلاحا بجانبها ؟

– لم أبصر .

فرفع "**روفيير**" الحربة وقال :

– هل شاهدت هذا السلاح من قبل ؟

– لا ..

– إن الرأي السائد هو أن السيد "**آدمز**" قُتل بهذا السلاح .. ولا شك أن القاتل قد انتزعه من هذه المجموعة الأثرية المعلقة فوق الجدار .. ولم تكن هذه الحربة موجودة في مكانها منذ نصف الساعة فقط .. وقد عُثر عليها في موضعها منذ لحظة وجيزة .. فكيف تفسر كل هذا ؟

– لا أستطيع .. إنني لا أعلم شيئا ..

– والآنسة ؟ .. هل عثرت عليها ؟

– يحتمل .. وعلى أي حال فإن الآنسة لم تخبرني بشيء في هذا الصدد ..

ولما رأى الخادم أن القاضي ليست لديه أسئلة أخرى يلقيها قال يُحدث

الدكتور "**وود**" :

– ها هي ذي حقيبتك يا سيدي ..

ووضعها على الأرض ثم سار إلى شأنه لا يلوي على شيء . أما "**روفيير**" فقد أشار إلى السيد "**تريد جولد**" والدكتور "**وود**" أن يتبعاه إلى البهو، ثم أغلق باب حجرة الاستقبال وقال :

– إن هذا الاكتشاف يتركنا في ظلام دامس . فما من شك في أن هذا الخادم يموه علينا .. ولكن سواء أبعد هو أو الفتاة تلك الحربة عن مسرح الجريمة فإن هذا لا يهمنا كثيرا ..

فقال "**تريد جولد**" :

– أتظن أن أحدهما قد أرجع السلاح إلى موضعه ؟

– ومن سواهما يفعل ذلك ؟ ألم يقرر كل عليم ببواطن الأمور أن "**آدمز**" والسيد "**هكتور**" كانا عدوين لدودين ، لقد كان السيد "**هكتور**" مستيقظا ومرتديا ثيابه .. أفلا يستنتج الإنسان من هذا أن "**آدمز**" قد أقبل عليه ، فوقع بينهما صدام ، قُتل "**آدمز**" في أثنائه .

فقال "**وود**" ساخرا حينما نقل إليه "**تريد جولد**" هذا الكلام بالإنجليزية .

– قل له يا "**تريد جولد**" إن الشخص الذي قتل "**آدمز**" قد أجهز عليه بضربة قاضية .. وإذا كان يعتقد أن ذلك الكهل المتهدم هو القاتل .. فإنه يكون مأفونا ولا ريب .

فأجاب "**روفيير**" :

– نعم. إنني أوافقك على ما تقول .. لكنني أتكلم عن الفتاة .. فأنا على يقين من أنها كانت تعتقد أن جدها هو القاتل ، حتى رأت أخيرا ذلك الحذاء ، فأدركت أنها كانت مخطئة في اعتقادها .. ولا شك أن دفاعها عن "الأعور" ،

وحماسها في إعلان براءته ، يؤيد ما أقول من أنها كانت تظن أن جدها هو القاتل ..

– وفي هذه الحالة لا يسع أي إنسان أن يلومها على رغبتها في التخلص من الحربة أو إخفائها ..

فقال "**روفيير**" :

– والآن ، إن التحقيق سيبدأ في الساعة العاشرة من صباح اليوم في منزل الدكتور "**كوتييه**" .. ولا شك أن الآنسة سوف تؤدي الشهادة .. والقاضي على استعداد لعدم التعرض للظروف التي ترتب عليها وجود جدها هنا ، وذلك من أجل الأسرة والفتاة نفسها .. وسيقصر دائرة التحقيق على الوقائع المادية التي تتصل بالجريمة .. فإذا أثرنا قصة الحربة وكشفنا عن اختفائها ، ثم العثور عليها ، فلابد أن يجر الحديث في هذه المسألة إلى الخوض في تفاصيل هذا النزاع العائلي المحزن وبسطه للعيان . إننا نعلم أن هذا النزاع لا يتصل بالجريمة من قريب أو من بعيد ، ولست أرى موجبا لإثارته في أثناء التحقيق .. أما إذا أراد رجال البوليس أن يحققوا فيه فيما بعد ، فهذا يعنيهم وحدهم .

فقال "**تريد جولد**" :

– ولكن ما قولك في المحلفين ؟ ألا يحتمل أن يثيروا مسألة الجريمة ؟

– سيعرف القاضي كيف يقنعهم ، وسأسوي هذه المسألة معه .. فهل تتفضل أنت وصديقك بعدم الإشارة إلى هذا الأمر .

وهنا رأى السيد "**تريد جولد**" أن يطلع الطبيب على هذا الرأي فلما استوعبه أجاب على الفور :

– إنني أوافق كل الموافقة . فكل ما أبغي هو أن تصان الفتاة مما قد يمسها من هذه القضية ..

- 13 -

بدأ التحقيق الرسمي في قاعة الاستقبال بمنزل قاضي التحقيق ، وأقبل الفلاحون يشاهدون إجراءاته ، كما حضر المصطافون ، زملاء "**تريد جولد**" الذين ورد ذكرهم فيما سلف .

افتتح القاضي إجراءات التحقيق . وأمسك بالحربة وهي لا تزال ملفوفة في منديل "**تريد جولد**" وقال محدثا المحلفين :

– لعل الذين كانوا يترددون منكم على القصر في عهد السيد "**هكتور**" قد شاهدوا هذه الحربة بين مجموعة الأسلحة الأثرية التي كانت معلقة فوق أحد جُدر حجرة الاستقبال . وأن مظهر الطعنة التي أصيب بها القتيل يدل على أنها قد حدثت بآلة تشبه هذه الحربة .. وفوق ذلك فقد قمت بفحص هذا السلاح بواسطة المجهر ، فشاهدت آثارا تشبه الدماء حول المقبض .. لكن الفحص الفني في معامل البوليس سيحدد هذه النقطة من غير شك ولست أنوي أن أقدم هذه الحربة إلى حضرات المحلفين؛ لأنه يتحتم علينا أن نحرص على البصمات التي قد تكون موجودة عليها ..

وهنا تبادل "**تريد جولد**" والدكتور "**وود**" نظرة ذات معنى .

فقد وجدا أن "**روفيير**" بر بالوعد الذي أخذه على عاتقه ، ولم يثر ظروف العثور على الحربة أمام المحلفين .... واستطرد القاضي يخاطب المحلفين وهو يخرج حذاء من جريدة قديمة ..

– وهذا الحذاء عثر عليه السيدان "**بوشيرون**" و"**لافوامبواز**" فوق سقف كوخ "**ماتياس**" ، كما سيتضح لكم ذلك من أقوالهما .

فنهض أحد المحلفين وتناول الحذاء وراح يتبادل فحصه مع زملائه ، واستطرد قاضي التحقيق في حديثه قائلا :

– إزاء هذه الأدلة أصدرت أمرا باعتقال "**ماتياس هرتبيس**" ، وقام العمدة بتنفيذ هذا الأمر .

ونُودي على "**جاك ليجاريه**" خادم السيد "**ريمي**" ، فقرر ردا على أسئلة القاضي أنه التحق بخدمة سيده منذ ثلاثة أعوام ، وشرح كيف عثر على جثة السيد "**آدمز**" في القصر ، ثم قال فيما يختص بتردد "**ماتياس**" على القصر : إنه كان يتكفل بإحضار الطعام ، وإنه شاهده لآخر مرة قبل اكتشاف الجثة حوالي السابعة مساء حين أحضر شيئا من اللبن .

وتلاه الدكتور "**وود**" فأدلى بأقواله بالإنجليزية وقام بنقلها إلى الفرنسية الأستاذ "**بوشيرون**" ، وقرر أنه يعتقد من طبيعة الطعنة التي أصيب بها المجني عليه أنها حدثت من حربة .. وشرح ظروف وجوده بالقصر وأضاف أنه أشرف على علاج الشيخ قبل وفاته ، وأنه حذر الآنسة من تعريض جدها لانفعال قد يقضي عليه . وختم شهادته قائلا :

– أعتقد أنه إذا كان رجل في مثل حالة الشيخ قد شهد وقوع الجريمة أو تصادف مروره قرب جثة القتيل ، فإن صدمة كهذه لا شك تكفي للقضاء عليه . وقام بعده "**تريد جولد**" ، فطلب إليه أولا أن يصف الحادث الذي وقع بين القتيل وبين "**ماتياس**" في المصيف ، فلما فرغ انتقل إلى سرد الوقائع التي أعقبت اكتشاف الجثة ، وشرح كيفية العثور على آثار الأقدام وكيف أنه رآها تمتد من موضع الجثة إلى حافة النافذة .

ونودي أخيرا على الخباز "**لافوامبواز**" فقرر أنه عثر على الحذاء مخبأ فوق سقف الكوخ الذي يقيم به "**ماتياس**" ..

وهنا اعتدل قاضي التحقيق في مجلسه وأجال بصره في القاعة ثم قال :

– لا شك أنكم جميعا تشاطرونني ما أعرب عنه من صادق العطف لما أصاب

الآنسة "**دي سان ريمي**" في شخص جدها . وقد تفضلت فحضرت إلى هنا بناء على طلبي ، وهي على استعداد لأن تجيب عن ما توجهونه إليها من الأسئلة التي لا تخرج عن نطاق هذا التحقيق الذي نباشره الآن ، على أنني أحب أن أوجه أنظاركم إلى أن شهادتها لن تؤثر تأثيرا قويا في موضوع التحقيق؛ لأنها كانت نائمة في حجرتها بالقصر وقت وقوع الجريمة .

وهنا راح الحاضرون يتهامسون فيما بينهم . واستطرد القاضي قائلا :

– وأن الواجب يحتم عليّ في هذه الظروف التي بسطتها أن أحترم حزن الآنسة . .

ثم نهض أحد المحلفين ويدعى "**أرستيد بلتيير**" وصاح قائلا :

– إنني لا أوافق على هذا الرأي . . فإنه يلوح مما سمعناه منك الآن ومن الشهود أن الآنسة كانت أول من طاف بالقصر عقب وقوع الجريمة . إنني أطلب أن تُسمع شهادتها . .

فوافق المحلفون على قوله . وهتف بعض الحاضرين فدق القاضي المائدة بقبضة يده وصاح :

– صمتا . .

وصوب نظرة إلى حيث كان "**روفيير**" . فهز هذا كتفيه . .

وما لبث القاضي أن استسلم للأمر الواقع . فالتفت إلى الفتاة وقال لها :

– أرجو أن تتقدمي وتقسمي اليمين .

فنهضت الفتاة على الفور وتقدمت متمهلة بينما ساد القاعة سكون عميق . .

حلفت الفتاة اليمين القانونية . وقالت : إن اسمها "**أدريين ستيفاني دي سان ريمي**" ، وإنها في الحادية والعشرين من عمرها ، فسألها القاضي :

– كم يوما مضى عليك في القصر أنت وجدك والخادم ؟

– إننا جئنا في ليلة الاثنين .

– لقد أصيب جدك أمس الأول بنوبة قلبية حادة . بقي على أثرها طريح الفراش . ولما تركته في الليلة الماضية وقصدت إلى غرفتك لكي تنامي . كان لا يزال طريح الفراش فكم كانت الساعة حينذاك ؟

– بعد الثامنة بقليل .

– هل لك أن تقصي علينا ما حدث بعد ذلك ؟

– لقد تمددت في الفراش بملابسي، ولم أكن أنوي أن أنام .. ولكنني كنت قد قضيت الليلة السابقة ساهرة بجوار جدي .. فغلبني النعاس .. ثم استيقظت وقد خُيل إليّ أنني سمعت صرخة .. وكان من الطبيعي أن أظن أن جدي يناديني .. ولذلك هرعت إلى غرفته ..

فقال أحد المحلفين :

– وكم كانت الساعة حينذاك ؟

– بعد الحادية عشرة ببضع دقائق .

ولما رأى القاضي أنها باتت في حالة عصبية ، ولم تستطع أن تتم حديثها من فرط الانفعال ، تقدم لمعاونتها وقال :

– عند ذلك لم تشاهدي جدك في حجرة نومه . فذهبتِ إلى حجرة الجلوس . حيث اعتدتما أن تتناولا الطعام... وهناك وجدتِه مرتديا ثيابه وغائبا عن صوابه... أليس كذلك ؟

فأومأت الفتاة برأسها موافقة . فقال القاضي :

– أخبري السادة المحلفين ماذا حدث بعد ذلك .. ؟

– لما رأيت أنه لا يفيق .. ذهبت إلى "**جاك**" وأيقظته .

ثم تعاونا على حمله إلى غرفته .. وبعد ذلك أرسلت "**جاك**" إلى المصيف

لاستقدام الدكتور "**وود**" .

فقال القاضي :

– هناك نقطة واحدة أخرى يا آنسة .. هل تعرفين المتهم "**ماتياس**" ؟

– لا ..

– هل كان من عادته أن يطوف حول القصر ليلا ؟

فترددت قليلا ثم أجابت :

– لا ...

– في كل وقت ؟ ....

– نعم ...

– حينما رأيتِ جدك مغمى عليه . ألم تسمعي صوتا ما في القصر أو فيما حوله ؟

– نعم لم أسمع ...

– ألم تشاهدي أحدا ؟

– نعم لم أشاهد ...

– هل كنت نائمة طوال الفترة بين الساعة الثامنة والحادية عشرة أو بعدها بقليل ؟

– نعم ...

– وعلى ذلك لم تسمعي "**آدمز**" أو القاتل حينما وصلا ؟

– نعم لم أسمع أحدا ..

وهنا نهض المحلف "**بلتيير**" واستأذن القاضي في أن يلقي سؤالا على الفتاة، فلما أذن له قال :

– أين كان جدك بالضبط وهو منطرح على الأرض ، حينما دخلتِ إلى حجرة

الجلوس ؟

فترددت الفتاة قليلا ، ثم أجابت في صوت خافت :

- الواقع أنني وجدته ممددا في البهو .

عند ذلك كرر القاضي عبارتها في صوت حاد قائلا :

- في البهو ؟ .. لقد فهمت من الدكتور ...

واتجه ببصره إلى ناحية "**وود**" ، فقالت الفتاة في لهجة عصبية :

- أخشى أن أقول : إنني قد أفهمت الطبيب خطأ عن غير قصد .. فإنني كنت منزعجة حينما شاهدت جدي على تلك الحال ولم أكن أعي ما أقول .. على أنني حينما ثبت إلى رشدي بعد ذلك وفكرت في الأمر ..

فقال المحلف "**بلتيير**" :

- أرجو أن تتفضل الآنسة بالإجابة عن سؤالي ..

هل كان جدك ممددا حينما عثرت عليه ؟

فجعلت الفتاة تتلفت حولها في شيء من القنوط . ثم أجابت قائلة :

- إنه لم يكن ممددا .. بل كان واقفا ؟

فقال القاضي في دهشة :

- كان واقفا ؟ ! أين ؟

- كان واقفا خارج باب حجرة الاستقبال ، يئن ويقبض بيده على صدره .. ولما دنوت منه .. هوى بين ذراعي .. وبعد ذلك حملته إلى غرفة الطعام .. حيث كانت الشمعة .

فقال القاضي :

- وهل قال شيئا ؟

- لقد أغمى عليه على الأثر .. ثم تركته وذهبت للبحث عن "**جاك**" .

واستأنف "**بلتيير**".أسئلته فقال :

– وهل كان باب غرفة الاستقبال مفتوحا أم مغلقا ؟

– إنني لم ألق بالي إلى ذلك .. في تلك الظروف ....

– ماذا تعنين بقولك .. (في تلك الظروف) ؟

– لما ذهب "**جاك**" لاستدعاء الدكتور . وجدت أن الأقراص المسكنة التي يتعاطاها جدي بقيت في حجرة الطعام .. فذهبت لإحضارها . وحينئذ رأيت ضوءا ينبعث من قاعة الاستقبال ... ولابد أن هذا الضوء كان هناك طوال المدة ولكنني لم أفطن إليه لما استولى عليّ من اضطراب لدى رؤية جدي على تلك الحال . على أني تقدمت في البهو وشاهدت باب غرفة الجلوس مفتوحا قليلا .

فدفعت أحد مصراعيه .. وهناك وقع بصري على شخص ممدد فوق الأرض قرب المصباح . وكان هذا الشخص هو "**جريون آدمز**" .

– هل عرفته إذ ذاك ؟ ...

فأومأت برأسها إيجابا وقالت :

– لقد رأيت أنه فارق الحياة .. ولم يكن بوسعي أن أفعل شيئا من أجله .. ثم إن جدي كان مغمى عليه في حجرته .. وكان كل همي موجها إلى العمل على إعادته إلى رشده .. ثم أقبل الطبيب وجاء بعده القس .. وقرر الطبيب أن جدي قد فارق الحياة .. ولما تذكرت بعد ذلك ما وقع لـ"**آدمز**" . كان "**جاك**" قد اهتدى إليه ...

ولاحظ "**تريد جولد**" أن الفتاة قد أنكرت أمامه معرفتها بوجود القتيل ولم تصرح بهذه الحقيقة إلا الآن أمام المحلفين ولا شك أن هذا يؤيد رأي "**روفيير**" في أنها كانت تعتقد أن جدها هو الذي قتل "**آدمز**" . ولذا لم تشأ أن تشير بشيء إلى ذلك ...

نهض "**روفيير**" وقال :

– أرجو أن يسمح لي سيدي القاضي بكلمة . . .

فساد القاعة سكون تام وشخصت الأبصار إلى العمدة فقال وهو يشير إلى المحلف إشارة ودية .

– إن ما أريد أن أقرره . هو أن صديقي "**أرستيد**" قد استطاع بأسئلته وبما أبدته الآنسة من الصراحة التامة في الإجابة عنها . أن يقرر مسألة على جانب عظيم من الأهمية .. شكرا للأخ "**بلتيير**" ... فنحن نعلم الآن أن "**آدمز**" كان قد قُتل بعد الساعة الحادية عشرة مساء . وهو الوقت الذي وجدت فيه الآنسة جدها مغشيا عليه . .

وابتسم "**روفيير**" للمحلف وقال :

– أليس هذا ما كنت تبغي الوقوف عليه من أسئلتك يا سيد "**بلتيير**" ؟ . . .

فاغتبط المحلف بهذه اللهجة ، وابتسم للعمدة ابتسامة العارف بقدر نفسه، ثم استقر في مقعده .

ودهش "**تريد جولد**" من مقدرة "**روفيير**" وبراعته في التأثير في المحلفين . . ولا شك أنه كان أدرى الناس بنفسية أهل قريته وأطوارهم .. كما لاشك أنه قد بر بوعده بحماية الفتاة والدفاع عنها .

وما لبث المحلفون أن فرغوا من مداولتهم ووقف "**بلتيير**" ونطق برأي المحلفين فإذا هو يعتبر القضية قتل عمد ضد "**ماتياس هرتبيس**" .



وعندما انصرف "**تريد جولد**" أجال الطرف حوله باحثا عن صديقه الدكتور

"**وود**" . ولكنه لم يقع له على أثر . فقصد بمفرده إلى المصيف ولم يكد يصل إلى (الجراج) حتى رأى "**تيسيران**" منطلقا وبيده أدوات الصيد ...

قال "**تيسيران**" :

– لقد أثبت عمدة "**سان فلورنتين**" أنه على جانب عظيم من البراعة . فقد وضع يده على عنق القاتل .. وأعتقد أنه سيشنق قبل أن يصل رجال بوليس "**كويبك**" ..

– أنا لا أعرف شيئا من إجراءات البوليس في هذه البلاد . فهل رجال البوليس عندكم على شيء من المهارة ؟

– إنهم لا يجدون في "**كويبك**" مثل الفرصة التي يجدها رجال البوليس عندكم في "**نيويورك**" .. حيث ميدان الجرائم فسيح .. ولكني أعرف واحدا أو اثنين من رجال البوليس عندنا على جانب عظيم من الذكاء . وأخص بالذكر السيد "**بيجوري**" . فهو رجل واسع المعرفة يجيد الإنجليزية والفرنسية وقد كان هو الذي انتدب لتحقيق جريمة مقتل حارس الطاحونة وهو الذي كان سببا في براءة "الأعور" .

فأطرق "**تريد جولد**" برأسه مفكرا ثم قال :

– من يدري فقد يكون "الأعور" بريئا هذه المرة كذلك ..

– إني أعتقد أن هذا المتهم يستطيع أن يثبت وجوده في مكان آخر في الوقت الذي وقعت فيه الجريمة ...

– وكيف ذلك ؟!

– إنه كان ثملا ... ومن المؤكد أنه شرب شراباً كثيرا في الحانة التي يديرها سرا المدعو "**ليرميت**" وهو من أكبر وأبرع مهربي المشروبات المحرمة هنا .. وفي اعتقادي أن "الأعور" أراد أن يتستر على هذا المهرب لسبب ما .. أو .. ولكن ما

هذا ؟

وأشار في الجو إلى طائرة مائية أخذت تهبط بالتدريج حتى استقرت على سطح البحيرة . وما إن هبط ركاب الطائرة ورآهم "**تيسيران**" حتى صاح بصوت مرتفع :

– آه ! هذا هو ذا صديقي "**بيجوري**" .. ومن هذا أيضا ؟.. الدكتور "**بيرونو**" .. الطبيب الشرعي .. لقد جاءا ولا شك لتحقيق حادث مقتل السيد "**آدمز**" .. إنهما صديقاي يا عزيزي "**تريد جولد**" .. دعني أقدمك إليهما .. ولا شك أن ميولك إلى الأبحاث الجنائية سيوثق أواصر الصداقة بينك وبينهما .... وأنت فضلا عن ذلك تملك سيارة فاخرة .. ولا شك أنهما سيحتاجان إليها في تنقلاتهما .

- 14 -

أوقف الدكتور "**وود**" سيارته في بقعة هادئة من الغابة تغطيها الحشائش الخضراء والتفت إلى "**أدريين**" وقال :

– الآن قد أنفذنا القسم الأول من العلاج الذي قررته . فتنسمت الهواء الطليق. أما القسم الثاني فيتلخص في أن نجلس هنا على الحشائش وندخن لفافة تبغ . فالتدخين يهدئ أعصابك ويفيدك بعد هذه الحوادث المزعجة .

كان الدكتور "**وود**" قد فهم من حديث دار بين الفتاة والقس عقب التحقيق أن جثة السيد "**هكتور دي سان ريمي**" قد نُقلت إلى الكنيسة؛ تمهيدا لدفنها، وأن الفتاة ستقيم في الدير مؤقتا حتى تحزم أمرها بشأن المستقبل .

وقد طلبت الفتاة إلى القس أن يسمح لها بالعودة إلى القصر لإعداد أمتعتها وحقائبها استعدادا للانتقال إلى الدير .

انتهز "**وود**" الفرصة . واقترح على الفتاة أن يذهب بها إلى القصر في سيارته . فوافقت "**أدريين**" على هذا الاقتراح .

وما إن ابتعدت السيارة بالشابين حتى التفت "**وود**" إلى الفتاة وقال لها :

– إن هذه الحوادث المحزنة قد أثرت في أعصابك وصحتك وأعتقد أن جولة في الهواء الطلق تفيدك . فهل تسمحين بأن أرتاد بك في السيارة بعض مسالك الغابة قبل أن ننطلق إلى القصر ؟!

فوافقت الفتاة في الحال . وراقه منها وداعتها وصراحتها وقطعت بهما السيارة شوطا كبيرا . ثم أوقفها الطبيب في تلك البقعة المزدهرة بالحشائش .. وجلس مع الفتاة عند جذع إحدى الأشجار .. وقدم إليها لفافة تبغ فتناولتها في غير تردد . ثم سألت صاحبها فجأة وهي ترقب سحب الدخان المتصاعدة من لفافتها :

– هل تقيم دائما في "**نيويورك**" يا دكتور ؟

– نعم .. فهل تعرفين هذه المدينة ؟؟

– لا .. ولكن أود لو تتاح لي الفرصة فأزورها . إنني أحب المدن الكبيرة .. ولا أعرف كيف سأقضي الأيام المقبلة في الدير كما اقترح القس ..

– هل قضيت مدة طويلة في "**باريس**" ؟

– إنني أقيم فيها منذ أربعة أعوام ...أي منذ بلغت السابعة عشرة من عمري . وكنت عندما فقدت أبي وأمي أتأهب لدراسة الفنون .. فرحلت من "**لندن**" إلى "**باريس**" ولما غرق والداي في حادث التصادم كتب إليّ جدي يدعوني إلى الإقامة معه في "**كندا**" . ولكني آثرت البقاء في "**باريس**" فأوقف عليّ مرتبا شهريا .. وبعد عام واحد لحق بي إلى هناك ..

– هل كنت تؤدين عملا ما في "**باريس**" ؟

– كنت أشتغل بوضع رسوم الأزياء لبعض المتاجر الكبرى .

– ولكن ما سر الخلاف الذي قام بين جدك والسيد "**آدمز**" ؟!

– لو أنك عرفت جدي وعاشرته .. لاستنكرت التهمة التي كان "**آدمز**" يوجهها إليه . فجدي لم يأكل أموال شقيقته "**أنيتا**" وكل ما في الأمر أنه لم يكن رجلا عمليا فلم يستطع إدارة أملاك أبيه كما يجب .. ولقد شجر الخلاف بين جدي و"**آدمز**" مرتين . الأولى في هذا القصر ..وكان السبب تباين آرائهما السياسية، وقد احتد جدي عليه فطرده من القصر شر طردة .. وكان ذلك هو – في الواقع – السبب الرئيسي في حُنق "**آدمز**" . فأراد أن ينتقم لنفسه بتشويه سمعة جدي ..ثم وقع بينهما خلاف آخر في "**باريس**" . وفي هذه المرة هدد جدي خصمه بالقتل .

– وكيف علمت بذلك ؟

– كنت هناك .. وقد لحق بنا "**جريون آدمز**" إلى "**باريس**" .

وعرض على جدي اقتراحا .

– أي اقتراح ؟

– عرض عليه أن يقترن بي .

فهتف الشاب في ذعر:

– ماذا تقولين ؟؟

فابتسمت الفتاة وأجابت :

– هذه هي الحقيقة .. إنه عرض الأمر عليّ أولا .. وقال لي : إنه على استعداد لأن ينسى الماضي ويعود بنا جميعا إلى القصر ، إذا أنا قبلت الاقتران به .. بل وعرض أكثر من ذلك أنه على استعداد لأن يمنح جدي مرتبا شهريا ثابتا إذا أراد الإقامة وحده في "**مونتريال**" أو "**كويبك**" .

– وماذا كان جوابك ؟

– طلبت إليه أن يعرض الاقتراح على جدي .. ولكن جدي لم يكد يسمع اقتراحه حتى جن جنونه .. ووثب إلى مسدسه وأمر "**آدمز**" بأن ينصرف في الحال إذا لم يشأ أن يموت قتيلا .

– وماذا فعل "**آدمز**" ؟

– انصرف في الحال ؛ لأنه لم يكن على شيء من الشجاعة .

– مسكينة أنت .. لقد مرت بك في هذين اليومين ساعات عصيبة ، ولكن ما قولك في أن تقيمي في المصيف عوضا عن الدير ؟! إنك في أشد الحاجة إلى الترفيه عن نفسك بعد هذه الحوادث !!!

وقد أصاب هذا الاقتراح هوى من نفس الفتاة وأجابت :

– ولكن ماذا يقول الناس إذا أقمت في مصيف لا يقيم فيه غير هواة الصيد من الرجال ؟؟

– من قال لك ذلك ؟! إن بالمصيف أكثر من سيدة ..

فصمتت الفتاة ونظر إليها الشاب مستعطفا وقال :

– إذا وافقت على هذا الاقتراح . فإننا سنتصل بالقس وننبئه بأنك عدلت عن الإقامة في الدير .

فنظرت إليه بعينين صافيتين وسألته :

– ولكن .. لماذا تفعل كل ذلك من أجلي ؟

فاضطرب . وقال بلسان يتلعثم :

– لأنني أشعر بأنك يجب أن تكوني أسعد مما أنت عليه الآن .

فابتسمت وأجابت :

– إذا كان كذلك فإنني أوافق على اقتراحك .

- 15 -

دخل الطبيب والفتاة القصر ... وراح الأول يتفقد الغرف باحثا عن "**جاك**" ظنا منه أنه عاد من منزل قاضي التحقيق ولكنه لم يقع له على أثر ..

وشرعت الفتاة في إعداد أمتعتها وحقائبها .. ووقع بصرها وهي تفعل ذلك على حافظة كانت قد وجدتها في الليلة السابقة في ثوب جدها بعد وفاته... ووضعتها بين الأمتعة دون أن تعلق عليها شيئا من الأهمية .

أبصرت الحافظة .. ووجدت أن الوقت يسمح لها بفحص محتوياتها .. فأخرجت منها بعض أوراق عادية تصفحتها بسرعة ...

وبينما هي تفعل ذلك إذا برسالة تسقط من بين الأوراق فتناولتها . وقلبتها بين أصابعها فوجدتها مغلقة ... وقرأت على غلافها هذه الكلمات :

(إلى "**أدريين**" بعد موتي)

عرفت الفتاة خط جدها .. ففضت الرسالة بسرعة ... ووجدتها مكتوبة باللغة الفرنسية . فقرأتها باهتمام ... وكان الدكتور "**وود**" يرقبها وهي تفعل ذلك فرأى على وجهها علامات التفكير العميق .

سألها :

– ما هذه الرسالة ؟

– إنها رسالة كتبها لي جدي قبل وفاته .. وقد كتبها باللغة الفرنسية .. وأنت لا تفهم هذه اللغة ... فدعني ألخص لك مضمونها . إنه يقول في هذه الرسالة إنه كان دائما شديد الاهتمام بضمان مستقبلي . وإنه لذلك لم يبع جميع مخلفات آبائه كما يعتقد الجميع .. بل احتفظ منها بتحف أثرية .. بعضها من الذهب، وبعضها الآخر من الفضة .. ولكنها جميعها ذات قيمة كبيرة؛ لأنها هدايا من ملوك "**فرنسا**" إلى أسلافنا ..وهو يقول : إنه خبأ هذه التحف الثمينة

في الغرفة الزجاجية التي بالطابق الثاني .. وهي غرفة كان قد أعدها لتكون مرسما . ويؤكد أنه أخفى هذا الكنز العائلي في أرض الغرفة تحت دولاب خشبي هناك ... فما قولك في هذا ؟

– إذا كان ذلك صحيحا ففي استطاعتنا البحث عن هذه التحف الآن ... أين السلم المؤدي إلى الغرفة الزجاجية ؟ وتأبط ساعدها .. وانطلقا معا إلى حيث كان السلم فارتقياه بسرعة . ودخلا الغرفة الزجاجية . وكانت الأتربة قد تراكمت على سقفها الزجاجي فحجبت عنها ضوء الشمس . و لكن الشابين لم يجدا صعوبة في رؤية الدولاب الذي تحدث عنه الشيخ في رسالته إلى حفيدته .

وتقدم الطبيب ففتح إحدى النوافذ القريبة من الدولاب .

وقالت الفتاة :

– يقول جدي : إنه أخفى التحف الأثرية في أرض الغرفة تحت الدولاب .. فهل نزحزح الدولاب ؟

– لا أظن أن ذلك في استطاعتنا . ولكن صبرا . لنفتح الدولاب أولا .. فربما وجدنا في قاعدته ثغرة ترشدنا إلى مخبأ التحف .

قال ذلك وانحنى ليفتح الدولاب . ولكنه ما كاد يفعل ذلك . حتى سمع صيحة رعب وفزع تفلت من فم الفتاة .

ذعر الطبيب الشاب ورفع رأسه ليرى ما الخبر . ولكنه شعر فجأة بأداة ثقيلة تصيب رأسه .

أحس بدوار وسقط على الأرض ولم يستطع حراكا .

وعندما استرد رشده وملك نفسه بعد بضع دقائق لم يرَ الفتاة . فنهض واقفا وراح يصيح :

– "**أدريين**" .. "**أدريين**" .. أين أنت ؟

فسمع صوتها صادرا من أسفل السلم . كانت تصيح :

ـ هأنذا . سأعود إليك .

وما هي إلا لحظة . حتى لحقت به وهي شاحبة اللون مرتجفة الأوصال .

أحاطت رأسه بكفيها وهتفت في جزع :

ـ هل أصابك سوء ؟ لقد خفت أن تكون قتلت فهربت ولكن يا لله . .إن الدم يسيل من رأسك !

ـ اطمئني . فالإصابة سطحية ولكن حدثيني ماذا حدث بالضبط .

ـ لا أعلم . لا أعلم . كل ما هناك أنني رأيت يدا تمتد من النافذة التي فتحتها وكانت ممسكة بشيء خُيّل إليّ أنه شمعدان قديم . فاستولى عليّ الفزع، وصرخت خوفا . ولكن اليد هوت بالشمعدان فأصابت رأسك . .

ـ ألم يقع بصرك على صاحب هذه اليد ؟!

ـ إنني لم أتبين وجهه . بل ولم أر رأسه .

وهنا وقع بصر الطبيب على شيء ملقى على الأرض ولم يكن قد رآه من قبل. فتناوله فإذا هو حقيبة صغيرة من القماش فابتسم وقال :

ـ هذا هو السر في أنك لم تتبيني وجهه . إنه أخفى رأسه تحت هذه الحقيبة. طوى الحقيبة ووضعها في جيبه . ثم انطلق إلى باب الغرفة وأرهف السمع جيدا.

ولكنه لم يسمع أي صوت يدل على أن هناك شخصا يبتعد فعاد أدراجه وجثا أمام الدولاب . . وفتح بابه . وتلمس قاعدته ثم هتف :

ـ لقد صدق ظني . إن للدولاب قاعدة متحركة .

حرك قاعدة الدولاب . ودس يده في الفجوة التي تكشفت عنها القاعدة ثم نظر إلى الفتاة وقال وعلى وجهه دلائل الحيرة :

– لقد سبقنا بعضهم إلى هذا المخبأ . وحمل التحف !

– ماذا تقول !

– إنني توقعت ذلك عندما أصابتني الضربة من ذلك الغريم المجهول . والآن هلمي بنا .. أعدي حقائبك ولننطلق إلى المصيف ..

وقصدا إلى الغرفة التي تركت فيها الفتاة أمتعتها ..ولكنهما ما كادا يدخلانها حتى سمعا صوت سيارة تقترب ..

فانطلقا إلى الباب الخارجي ووقفا في انتظار قدوم السيارة ..

ولكنهما سمعا فجأة وقع أقدام تدب خلفهما فتحولا إلى الوراء وأبصرا الأستاذ "**بوشيرون**" مسجل العقود وكان لتوه خارجا من إحدى الغرف ..

دُهش الشابان ... وتبادلا نظرة ذات معنى .. وقالت "**أدريين**" أخيرا وهي تصعِّد مسجل العقود بعينيها :

– هل دخلت القصر منذ وقت طويل يا سيد "**بوشيرون**" ؟ فأجاب الرجل بصوت هادئٍ رزين :

– لقد كنت أسير على ضفة الغدير بالقرب من القصر فتذكرت أن حارس المصيف أنبأني بأن أحد مفتشي البوليس قد قدم خصيصا من "**كويبك**" لتحقيق حادث مصرع السيد "**آدمز**" . ولما كنت واثقا بأنه سيحضر إلى القصر في الحال لمعاينة مكان الجريمة، وأنه لابد سيحتاج إلى سماع أقوالي لذلك فكرت في أن ...

وقبل أن يتم كلامه .. وصلت السيارة إلى باب القصر . ووثب منها السيد "**روفيير**" العمدة ..

قال "**روفيير**" محدثا المسجل :

– هل حضر مفتش البوليس ؟

– لا .. لم يحضر بعد .. ولكن كيف علمت بقدومه ؟

– إن الشائعات تترامى بسرعة البرق .. والإنسان لا يصم أذنيه

وشد "**روفيير**" على يد الطبيب والفتاة وسألهما :

– هل علمتما كذلك بقدوم مفتش البوليس ؟

فأجاب "**وود**" :

– إننا سمعنا هذا النبأ في التو واللحظة .. ولكننا لسنا بحاجة إلى انتظاره .

ثم تحول إلى الفتاة وقال لها :

– هلمي بنا . هل أعددت حقائبك ؟

فسأل مسجل العقود :

– أين تريدين الذهاب مع الطبيب يا آنسة ؟

– لقد تفضل الدكتور "**وود**" ودعاني إلى الإقامة في المصيف

– إذا أردت رأيي .. فإنني أقترح عليك تأجيل الرحيل الآن .. حتى يحضر مفتش البوليس . إذ لا شك أنه سيضطر إلى سؤالك ..

فقاطعته في غضب :

– إنني لست بحاجة إلى رأيك يا سيد "**بوشيرون**" ..فاحتفظ بنصائحك لنفسك .

- 16 -

تخلف الدكتور "**بيرونو**" في المصيف وانطلق "**بيجوري**" مع "**تريد جولد**" بسيارة هذا الأخير في الطريق إلى القصر ..

وساد الصمت بين الرجلين أول الأمر إلى أن بدأ "**تريد جولد**" الحديث بقوله :

– أظن أن هذه ليست أول مرة تزور فيها هذه المنطقة .. فقد قيل لي :إنك

جئت قبل الآن للتحقيق في حادث مصرع حارس الطاحونة .. وكان المتهم في هذا الحادث هو بعينه "**ماتياس الأعور**" .. الذي يتهمونه الآن بمقتل السيد "**آدمز**" .

– هذا صحيح .. ولكنني وجدت أن الأدلة ليست كافية رغم إصرار العمدة على اتهام "**ماتياس**" ...

صمت "**بيجوري**" لحظة ثم عاد فاستطرد :

– لقد أنبأني صديقي "**تيسيران**" أنك الذي جمعت الأدلة ضد "الأعور" ...

– هذا صحيح للأسف الشديد .

– ولماذا الأسف ؟!

– الواقع أنني من هواة الأبحاث الجنائية .. وقد وضعت نصب عيني منذ البداية أن "الأعور" هو المجرم . وشرعت أجمع الأدلة على هذا الاعتبار .. فلم يكلف العمدة وقاضي التحقيق نفسيهما مؤونة مناقشتي .. وأمرا بإلقاء القبض على الرجل .

– وهل حدث ما يحملك على ترجيح براءة المتهم ؟!

فصمت "**تريد جولد**" لحظة ثم سأل :

– هل ذكر لك "**تيسيران**" جميع أدلة الإدانة ؟!

– نعم .

– وهل حدثك بحكاية القدم التي وُجد أثرها الدامي بالقرب من الجثة ؟

– نعم .

– وهل تعتقد أن الإنسان إذا وطئ بقدمه دما سائلا ترك حذاؤه أثرا واضحا وسط الدم السائل ؟

فتحول إليه "**بيجوري**" بحدة وهتف :

– آه ! هذه ملاحظة على جانب عظيم من الأهمية ..

فاستطرد "**تريد جولد**" :

– لقد كان من المستحيل أن يصل "**آدمز**" إلى القصر بعد الساعة العاشرة والدقيقة 45؛ لأن الأمطار بدأت تهطل في ذلك الوقت .. وقد وجدنا ثيابه جافة. وحذاءه نظيفا .. مما يدل على أنه لم يكن في الخلاء وقت هطول الأمطار.. هذا وقد قررت الفتاة في أثناء التحقيق أن "**آدمز**" كان ميتا فعلا في الساعة الحادية عشرة، أو بعد ذلك بدقائق .. فإذا فرضنا أنها عثرت على الجثة بعد الوفاة بعشرين دقيقة مثلا .. فهل يجوز لنا أن نعتقد بأن هذه الدقائق كافية لأن يتجمد الدم في خلالها بحيث يحفظ أثر القدم ؟!

– لا .

– إن وجود دماء على حذاء "الأعور" ووجود أثر قدمه بالقرب من الجثة يدل على أن الرجل زار مكان الجريمة حقًّا . ولكن الزيارة كانت بعد ارتكاب الجريمة. بل وبعد أن نقلت الفتاة جدها إلى فراشه . وقد كان "الأعور" ثملا . والمرجح أن منظر القتيل أوقع الذعر في قلبه، وأفقده صوابه . فهرول إلى غرفة الطعام، ووثب من نافذتها إلى الخارج بعد أن ترك آثار قدميه على طول الطريق، وعلى قاعدة النافذة . ولما وجد نفسه في الخلاء أطلق ساقيه للريح . وقصد إلى كوخه حيث بقي حتى ألقي القبض عليه .

وثمة أمر آخر .. فأنا أعتقد أن "الأعور" يستطيع أن يثبت أنه كان في مكان آخر بعيدا عن القصر في ذات الوقت الذي ارتكب فيه الجريمة . إن "الأعور" يعترف بأنه أسرف في الشراب ، ولكنه لم يذكر أين تناول المشروبات التي أثملته .. ولكني علمت أن في القرية مكانا للمشروبات الروحية القوية التي

يحرمها القانون يديره رجل يدعى "**ليرميت**" .

– هل تعتقد أنه لزم الصمت . ولم يذكر أين كان وقت ارتكاب الجريمة .. لكيلا يورط "**ليرميت**" ويثبت خروجه على القانون ؟

– ذلك هو رأيي .

– وهل تظن أن "الأعور" يرضى بأن يضحي بحياته لمصلحة "**ليرميت**" ؟

– أنا أعتقد أن الرجل في حالة ذعر وفزع شديدين .

– وإذا كان حقًّا لم يقتل .. فلماذا لا يذكر ذلك صراحة ؟

– الجواب على ذلك سهل ميسور . فـ"الأعور" هو ابن أحد مستأجري أملاك أسرة "**سان ريمي**" .. فإذا كان قد قَبِل أن يتحمل مسؤولية الجريمة . فإنه يكون قد فعل ذلك اعتقادا منه بأن الشيخ ، أو الفتاة ، أو كليهما ارتكبا الجريمة .. فأراد أن يدفع عنهما التهمة بالتضحية بنفسه .

– ولكن إذا افترضنا أن "الأعور" بريء فمن يكون المجرم إذن ؟

– إذا كان "الأعور" بريئا .. فإن القضية تكون من أعقد القضايا .

– إن في القضية بعض نواح لا أستطيع إلى فهمها سبيلا .. من ذلك مسألة الحربة .. ومن الذي وجدها ؟

– من الواضح الجلي أن أحد شخصين كان أول من عثر على الحربة .. وهذان الشخصان هما "**جاك**" والفتاة .

ومعنى ذلك أن أحد هذين لابد أن يكون قد عثر على الحربة . فانطلق بها ... وأزال أثر الدماء عن نصلها .. ثم ردها إلى موضعها .

– على اعتقاد أن السيد "**هكتور دي سان ريمي**" هو الذي ارتكب الجريمة .. وأن الواجب يقضي بإقصاء هذه التهمة عنه حرصا على سمعته ؟

– هذا الفرض ينصب على الفتاة دون الخادم؛ لأن هذا الأخير لابد أنه كان

يعلم أن مولاه من الضعف بحيث لا يستطيع أن يطعن "**آدمز**" طعنة قاتلة .. ولذلك يحتمل أن تكون الفتاة قد توهمت أن جدها هو الذي ارتكب الجريمة، وأن يكون الخادم قد اعتقد أن الفتاة هي التي ارتكبتها .

وهنا نظر "**بيجوري**" إلى محدثه في فضول وسأله :

– هل أنت من هواة الأبحاث الجنائية ؟

– نعم ..

– إذا طلب إليك تحقيق هذه القضية . فمن أية ناحية تبدأ ؟

فاطرق "**تريد جولد**" برأسه ثم قال :

– إنني أبدأ بالبحث عن أجوبة ثلاثة أسئلة

– ما هي ؟

– الأول .. لماذا قدم السيد "**آدمز**" إلى "**سان فلورنتين**" ؟

– ألا تعتقد أنه قدم لمجرد الترفيه عن النفس بصيد السمك ؟

– إذا صح ذلك لكانت المصادفة عجيبة .. وأنا لا أريد أن أقيم وزنا للمصادفات .

– وما السؤال الثاني ؟

– كيف وصل "**آدمز**" إلى غرفة الاستقبال ؟

– هل كونت رأيا في ذلك ؟

– لا .

– والسؤال الأخير ؟

– من ذا الذي كان يحتذي نعلا من المطاط في ليلة الجريمة ؟

– وما الغرض من هذا السؤال ؟

– صبرا حتى نصل إلى القصر .. فهناك أستطيع أن أوضح لك الغرض ..

- 17 -

عندما وصل الرجلان إلى القصر . وجدا ببابه سيارة قال "**تريد جولد**" عندما رآها :

– هذه سيارة العمدة ..

فقطب "**بيجوري**" حاجبيه وسأل :

– ماذا يفعل هنا ؟!

– لابد أنه علم بقدومك فسبقك إلى هنا ... ولكن دعني أدلك على الآثار التي وقعت عليها قبل أن تقابل العمدة أو سواه ..

ثم قصد به إلى غرفة الطعام .. ودله على الأثر الذي تركه "الأعور" على قاعدة النافذة ثم أطل من النافذة وأشار إلى أثر حذاء ظل ظاهرا في الأوحال وقال :

– هذا هو ذا الأثر الذي حدثتك عنه .. انظر إلى الثقوب الصغيرة ... إنها تدل على أن الحذاء من المطاط

– وهل هناك أثر أقدام أخرى ؟!

– لا ... وأنا أعتقد أن "الأعور" فر من النافذة . ولكنه قدم من سبيل آخر .

– وأثر حذاء المطاط ؟!

– من المؤكد أن شريدا مثل "الأعور" لا ينتعل حذاءين .. أحدهما من المطاط..

ثم رافق "**تريد جولد**" المفتش إلى مدخل القصر . وأشار إلى بقعة في الأرض لم يدركها ماء المطر وقال :

– تأمل الأرض حول هذه البقعة ... إنها موحلة من تأثير الأمطار ..

– وما السر في جفاف هذه البقعة ؟!

– لا شك أن سيارة وقفت هنا طيلة المدة التي استمر فيها هطول المطر .

– آه ! هذا صحيح .. ومتى بدأ هطول المطر ؟

– بدأ في الساعة العاشرة والدقيقة 45 وانتهى في الساعة الحادية عشرة.. ولم تمطر السماء بعد ذلك .

– وماذا تفهم من كل هذا ؟؟

– الذي أفهمه .. أن صاحب السيارة، أو الشخص الذي ترك سيارته هنا في إبان هطول المطر ... قد وصل إلى القصر في مثل الوقت الذي وصل فيه السيد "**آدمز**" ..

– ومعنى ذلك أن صاحب السيارة هو القاتل ؟

– ذلك ما يتراءى لي ..

ففحص "**بيجوري**" الآثار التي تركتها إطارات السيارة التي يزعم "**تريد جولد**" أنها سيارة القاتل ثم قال :

– إن إطار السيارة من النوع مسطح الحافة كإطار هذه السيارة .

وأشار إلى السيارة التي رآها بالباب والتي كان يظنها سيارة العمدة وسأله :

– سيارة من هذه ؟

فاقترب "**تريد جولد**" من السيارة ومس بعض أجزائها ثم قال :

– لا أعلم .. ولكن يلوح لي أنها هنا منذ مدة طويلة ..

فإن محركها بارد وكذلك جميع أجزائها . فنظر "**بيجوري**" إلى داخل السيارة ووجد حافظة أوراق كبيرة فتناولها .. وتناول من بين محتوياتها غلافا قرأ عليه هذا العنوان .

"السيد "**مارسيل بوشيرون**" . مسجل عقود " .

قال :

– "**بوشيرون**" !؟ أنا أعرف صاحب هذا الاسم .. إنه محامي أسرة "**سان**

ريمي" . أليس كذلك ؟ إذن فهو موجود بالقصر الآن . . .

صمت لحظة ثم استطرد :

– هل تعتقد أنه هو الذي جاء إلى القصر بسيارته ليلا ؟!

– لا أعلم . . ولكنه قرر أنه عاد من "**تروابون**" في ساعة متأخرة من الليل .

- 18 -

وقفت بالباب سيارة ثالثة . وهبط منها ثلاثة رجال . هم "**كوتييه**" قاضي التحقيق، والدكتور "**بيرونو**" الطبيب الشرعي، ورجل من رجال البوليس هو الكونستابل "**بيسونيت**" . . وكان قد جاء من "**كويبك**" بالطائرة المائية في رفقة "**بيجوري**" و"**بيرونو**" .

دخل الجميع القصر وخف "**روفيير**" و"**بوشيرون**" لاستقبالهم فصافحهما "**بيجوري**" وهو يقول محدثا العمدة :

– أرى أنك لم تضع وقتك هباء . وأنك وُفقت في القبض على المتهم وإدانته. وهذا عمل سريع تستحق عليه التهنئة .

فابتسم العمدة وأجاب :

– إنني بذلت كل ما بوسعي يا سيدي . .

فالتفت "**بيجوري**" إلى قاضي التحقيق وسأله :

– هل استدعيتم الرجل المدعو "**ليرميت**" أو سمعتم أقوال الدليل "**باتيس**" ؟!

فنظر قاضي التحقيق إلى العمدة حائرا كأنه يلتمس معونته . وخف العمدة إلى نجدته إذ قال :

– إننا لم نر ما يدعو إلى استجوابهما .

وفي هذه اللحظة التفت الكونستابل "**بيسونيت**" إلى الدكتور "**بيرونو**" وقال

له :

– من الأفضل أن نبدأ في الحال عملية فحص الجثة .

وقال "**بيجوري**" :

– نعم .. افعل ذلك . بينما أقوم باستجواب الفتاة، والخادم "**جاك**" .

فقال "**روفيير**" :

– إن الخادم هنا أما الفتاة فقصدت إلى المصيف برفقة الدكتور "**وود**" .

– حسنا . أود أولا أن ألقي نظرة على مضبوطات القضية .. أريد أن أرى الحربة التي ارتكبت بها الجريمة، والمكان الذي وجدت به الجثة .

فقدم إليه قاضي التحقيق المضبوطات جميعا . ففحصها، وهز رأسه وقال :

– مما لا شك فيه أن بصمات الأصابع على هذه الأشياء قد ضاعت معالمها جميعا .. ولكني أرجو أن نجد آثار بصمات على المصباح .. اللهم إلا إذا كان القاتل قد حمله بمنديل ..

ثم طلب استدعاء "**جاك**" .. فأقبل هذا وهو شاحب اللون مرتجف الأوصال. ورأى الخادم الحربة في يد مفتش البوليس . فحبس أنفاسه وانتظر ما سيلقي عليه من الأسئلة . وهز "**بيجوري**" الحربة في يده . وصاح :

– ماذا تعرف عن هذه الحربة ؟ إنك كذبت فيما قلت قبلا .. أما الآن فيجب أن تقول الصدق . إن الأدلة ضدك قوية . ولو شئت لألقيت القبض عليك في الحال .

فصاح الخادم :

– لا .. لا يا سيدي إنني بريء

فصرخ به "**بيجوري**" :

– إذن تكلم .

– إن السيد "**آدمز**" كان ميتا حين رأيته . وكانت الحربة ملقاة بالقرب منه . وهي ملوثة بالدماء .. فذهبت بها إلى غرفتي وأخفيتها هناك قبل أن ..

– لماذا أخفيتها ؟

– لأحمي مولاي . وأدفع عنه التهمة . إنه كان من أكرم الناس علي .

– تعني أنك توهمت أن سيدك هو القاتل ؟

– نعم .. ومن سواه ؟

فقال "**تريد جولد**" :

– لقد ذكر لي "**جاك**" أنه لم ير "**آدمز**" من قبل ولم يكن يعرفه .

فأجاب "**جاك**" :

– إنني فعلت ذلك لحماية سيدي كذلك . إنهما كانا عدوين لدودين وقد حدث في "**باريس**" أن هدد سيدي "**آدمز**" بالقتل .

– وكيف دخل في روعك أن شيخا عليلا كسيدك لديه القوة لقتل إنسان بطعنة حربة ؟

فصمت الخادم ولم يجب وقال مفتش البوليس :

– لم يكن هناك معنى للاستمرار في الكذب بغية حماية سيدك بعد أن تُوفي الشيخ . أليس كذلك ؟!

– إنه لم يكن قد تُوفي بعد حين عثرت على الحربة .

– ولماذا لم تذكر الحقيقة بعد الوفاة ؟

– لصيانة اسمه وسمعته .

– أنت تكذب .. إنك كنت تريد حماية الفتاة . إنها التي ارتكبت جريمة القتل .

– كل ما أعلمه يا سيدي أنني وجدت الحربة على الأرض .

– وأنت الذي ثبتها بالبندقية ؟!

– نعم .

– متى ؟

– عندما كانوا يستجوبون "**ماتياس**"

وفي هذه اللحظة دخل الكونستابل "**بيسونيت**" فمد يده بشيء وهو يقول :

– كنت أفتش أمتعة هذا الرجل فوجدت هذا في حقيبته .

وفتح قبضته .. فإذا في يده صندوق ثمين للسعوط (النشوق) .. فحملق "**جاك**" إلى الصندوق وصاح على الفور :

– وجدت هذا في حقيبتي ؟! إنني لم أره قبل الآن ..

فتناول "**تريد جولد**" الصندوق وفحصه ثم قال :

– إنني أرى عليه شعار أسرة "**سان ريمي**" ... فكيف حصلت عليه ؟!

– أنا لا أعلم شيئا عن هذا الصندوق .. هذه مؤامرة ضدي لإهلاكي .

قال الكونستابل محدثا "**بيجوري**" :

– ولقد عثرت على هذا أيضا يا سيدي ..

وأخرج من جيبه منديلا صغيرا ملوثا بالدم .

فقطب "**بيجوري**" حاجبيه وسأل :

– وهل كان هذا المنديل في حقيبة الخادم كذلك ؟

– لا .. بل وجدته في درج مائدة المطبخ ..

فتناول "**بيجوري**" المنديل وفحصه . ولفت نظره حرف (أ) مطرزا في أحد أركانه سأل :

– ما اسم الفتاة ؟

فأجاب "**تريد جولد**" :

– اسمها " **أدريين**" .

- 19 -

ما كاد "**تريد جولد**" يدخل الكبينة رقم 3 حتى وثب الدكتور "**وود**" من فراشه وهتف قائلا :

– أين كنت يا رجل ؟ .. إن في جعبتي أمورا لا تحصى أود أن أسردها على مسمعك .. لقد أنبأني "**آنج ترمبلاي**" بأنك ذهبت بمفتش البوليس في سيارتك إلى القصر ...

فقال "**تريد جولد**" في شيء من التبرم :

– لقد ذهبنا أولا إلى القرية .

وفي هذه اللحظة أقبل "**ترمبلاي**" يحمل بين يديه صحفة كبيرة عليها بعض الطعام والشراب ، فوضعها على المائدة وقال محدثا الطبيب :

– لقد جئتك بما طلبت يا سيدي .

فسأل "**تريد جولد**" الحارس .

– أين "**باتيس**" الدليل يا "**ترمبلاي**" ؟

– إنه خرج في صحبة عائلة "**مونتجومري**" .

– متى يعد فأنبئه بأنني أود مقابلته .

– حسنا يا سيد "**تريد جولد**" ..

وما كاد الحارس ينصرف حتى التفت "**تريد جولد**" إلى الشاب وقال له في حدة وهو ينظر إلى صحفة الطعام:

– ما هذه الوليمة ؟

فتورد وجه الطبيب وقال :

– ستحضر الآنسة "**دي سان ريمي**" في الساعة السادسة للتفاهم معنا في أمور تهمها .. وقد رأيت أن شيئا من الطعام والشراب قد يقوي أعصابها الضعيفة.

ولا بأس من أن نتناول قليلا من الشراب حتى تحضر .

فجلس "**تريد جولد**" واستطرد الشاب :

– وبهذه المناسبة يجب أن أقول لك : إنني أعددت العدة لإقامة الآنسة "**دي سان ريمي**" بيننا بعض الوقت . .وقد أفسح لها "**آنج ترمبلاي**" غرفة في مسكنه . .

– ألا تظن أنك تسرعت يا "**جورج**" ؟ . . أريد أن أقول : إننا لا نعلم على أي وجه قد تنتهي هذه القضية . . وأرجو أن تصدقني إذا قلت لك : إن الحوادث بدأت تتطور بسرعة .

– كن مطمئنا يا صاحبي . . خير لك أن تصغي إلى ما حدث لنا في القصر بعد ظهر اليوم .

– مهلا . . أرجو قبل كل شيء أن تعدني بألا تنهي إلى الآنسة ما أفضي به إليك . .

– ليكن ذلك .

– اعلم إذن أن رجال البوليس قد عثروا في مطبخ القصر منذ ساعة تقريبا على منديل لها ملوث بالدماء .

فحملق إليه الشاب في دهشة وسأل :

– وكيف عرفوا أنه منديلها ؟

– وجدوا حرف "أ" منقوشا على المنديل . . وهو الحرف الأول من اسمها كما تعلم . والمنديل صغير الحجم من نوع مناديل السيدات .

فهز الطبيب رأسه في شيء من القلق وقال :

– لابد أنهم أخطئوا أيها الصديق .

– لست أرى هذا الرأي . . ثم هنالك مسألة أخرى . فقد عثروا في أمتعة

"**جاك**" على علبة سعوط (نشوق) ذهبية تحمل شعار عائلة "**سان ريمي**" .

وهنا وثب الشاب نحو صديقه وهو يهتف :

– لقد كنت أعرف هذا .. إذن فاعلم أن "**جاك**" هو القاتل .. أشعل غليونك يا صديقي وأصغ إليَّ ..

وراح الطبيب الشاب يقص عليه حديث الرسالة التي كتبها جد الفتاة وما حدث بعد ذلك .. وكيف أنه يعتقد أن "**جاك**" هو الذي ضربه على رأسه . ثم سأل :

– وماذا يقول "**جاك**" في موضوع علبة السعوط ؟

– لقد قرر أنه لا يعلم شيئا عن العلبة .. وأنا أميل إلى تصديقه ..

– إذا لم يكن "**جاك**" هو الذي سلب الودائع ، فمعنى ذلك أن الذي هاجمنا كان شخصا آخر .. ولم يكن هناك شخص آخر قريب من المكان غير مسجل العقود.

– "**بوشيرون**" ؟

– نعم لقد ظهر لنا عقب هبوطنا مباشرة من الغرفة الزجاجية .. وقرر أنه كان يقوم بجولة على شاطئ الغدير ، ألا ترجح معي أن مهاجمي هو القاتل ؟

– هذا ما يلوح لكل إنسان .

– أيمكن أن يكون القاتل هو "**بوشيرون**" ؟

– إذا كان قد خدعنا فيما صرح به عن موعد عودته في الليلة الماضية من جهة "**تروابون**" .. فقد يحتمل ما تقول ..لكن دعني أقل لك يا "**جورج**" : إن التهم التي لا تستند إلى أساس صحيح لا يمكن أن تؤدي إلى نتيجة يعول عليها.. وأنا أقول ذلك عن خبرة سابقة ..

وراح "**تريد جولد**" يحشو غليونه بالتبغ ثم أشعله واستطرد :

– كلما قلبت نظري في هذه القضية ، شعرت بأن هناك قوة خفية تعمل على طمس معالم الحقيقة وحجبها عن أبصارنا .. ولست أعدو الحقيقة إذا قررت لك أن حارس الطاحونة لم يمت موتا طبيعيا .. وإنما قُتل؛ لأن القاتل كان يخاف أن يعرف الحارس ما يدور بين جوانب القصر ..

وفي هذه اللحظة أقبل عليهما رجل قصير القامة أسمر اللون ناداه "**تريد جولد**" قائلا :

– تعال يا "**باتيس**" ..

فلما دخل الدليل استطرد "**تريد جولد**" قائلا :

– أخبرني يا "**باتيس**" .. ألم يكن ذلك الرجل الملقب بـ"الأعور" ، صديقا لك؟

فقال الرجل في حذر :

– إنني أعرفه ..

– إنه الآن في موقف عسير ، فهل تحب أن تساعده ؟ لقد قيل لي : إنك تذهب أحيانا إلي حانة "**ليرميت**" بالقرية ..

فأحببت أن أسألك هل رأيت "الأعور" هناك في الليلة الماضية ؟

فهز "**باتيس**" رأسه في إصرار وقال :

– إنني لم أره ..

– حسنا يا "**باتيس**" .. هذا كل ما أريد منك .

ولما انصرف الدليل قال "**تريد جولد**" :

– أينما يولي الإنسان وجهه لا يلقى سوى العقبات .

– فقال "**وود**" :

أراهنك أنه يكذب .

– هو ما تقول .. سوف نرى إذا كان السيد "**بيجوري**" يستطيع أن ينتزع منه شيئا ..

وفجأة نهض الدكتور "**وود**" من مكانه وقصد إلى حيث توجد ثيابه ثم عاد وهو ممسك بيده حقيبة من القماش وقال :

– لقد ذكرت لك ، أن الشخص الذي اعتدى عليّ في الغرفة الزجاجية كان يضع على رأسه غطاء .. وها هو ذا الغطاء .

فتناول "**تريد جولد**" الحقيبة وجعل يفحصها ، فسألة "**وود**" :

– هل أتيح لك أن ترى من قبل حقيبة كهذه ؟

– لقد كانت تأتيني أحيانا في "**نيويورك**" زجاجات من الشراب في حقائب من نوع هذه الحقيبة .

– هذا صحيح .. إنها من النوع الذي يستخدمه تجار الشراب في نقل الزجاجات

وهنا لمعت عينا "**تريد جولد**" وهتف قائلا :

– آه ! أتعني أن "**ليرميت**" يستخدم مثلها ؟ .. هذا استنتاج بديع يا صاحبي

ثم طوى الحقيبة ووضعها تحت كتاب أمامه .. وقال :

– لابد أن نعرض هذه الحقيبة على أنظار "**بيجوري**" ترى هل ذهب إلى حانة "**ليرميت**" ؟

وما كاد يتم عبارته حتى دوى صوت "**ترمبلاي**" معلنا قدوم مفتش البوليس..

- 20 -

دخل "**بيجوري**" صاخبا . وما كاد يستقر به المقام حتى انفجر قائلا :

– يلوح لي أن أهل القرية يتآمرون ضدي .. فإن السواد الأعظم منهم يستأجر أملاك السيد "**هكتور**" .. وهم لا يودون أن يتفوهوا بشيء يمس سمعته أو

سمعة عائلته .لقد ذهبت إلى حانة "**ليرميت**" أولا فوجدتها مغلقة ، وأقسمت لي زوجته أنها لا تعرف أين ذهب .. ثم قابلت أخيرا ذلك الدليل المدعو "**باتيس**" بعد أن خرج من عندكم ، فإذا هو لا يَقِل عن سواه صمتا وتحفظا.. .إنهم يقيمون العقبات في طريقي لكنني سأنتزع الحقيقة من أفواههم، حتى ولو قضيت حياتي كلها هنا ولما هدأ مفتش البوليس قليلا أطلعه السيد "**تريد جولد**" على ما وقع للدكتور في القصر ، ثم ناوله الحقيبة وقص عليه ما يراه الدكتور من وجود صلة بينها وبين صاحب الحانة ..

وما كاد "**تريد جولد**" يفرغ من كلامه حتى وقع بصره على الآنسة "**دي سان ريمي**" وكانت مقبلة عليهم ، فرحب بها "**وود**" ودعاها إلى الجلوس ، وعندئذ أخرج "**بيجوري**" دفتر مذكراته وألقى عليه نظرة ثم سأل الفتاة بقوله :

– لقد قررت في التحقيق أنك كنت أول من عثر على جثة "**آدمز**" فلماذا إذن لم تخبري الدكتور "**وود**" حين جاء إلى القصر بأن هناك قتيلا في غرفة الاستقبال؟

– لقد كان كل تفكيري إذ ذاك محصورا في حالة جدي .

– أصارحك يا آنسة ، أنه مهما يكن من حالة جدك ، فقد كان في وسعك أن تخبري الطبيب أو القس أو السيد "**تريد جولد**" أن هناك قتيلا في القصر .. أرجو أن تصارحيني بالحقيقة ..

فترددت الفتاة لحظة ثم أجابت :

– لقد ظننت إذ ذاك أن جدي قد قتله .

– لكن الطبيب أخبرك بأن قلبه شديد الضعف ، فكيف كان يمكن أن يجول بذهنك مثل هذا الخاطر ؟

– هذا ما خطر لي في الواقع ..

– ولكن لماذا اتجه تفكيرك إلى هذه الناحية ؟ وما الذي يدفع جدك إلى قتله ؟

– إن "**آدمز**" قد أرغم جدي على مغادرة أملاكه ووطنه .

– إنني أعرف كل شيء في هذا الصدد .. ولكني أسألك عن أسباب معينة تحملك على هذا الاعتقاد ..

فتوقفت هنيهة ، ثم قالت :

– لقد هدده جدي بالقتل في آخر لقاء بينهما .

– وما السبب في هذا التهديد ؟

– هذه مسألة خاصة ..

– أرجو أن أعرفها ..

– أفضل أن ألزم الصمت .. فالمسألة لا تمت بصلة إلى القضية ..

فقال "**بيجوري**" مرددا عبارتها بصوت مرتفع :

– لا تمت بصلة إلى القضية ؟ .. ألم يطلب "**آدمز**" أن يتزوج بك في مقابل شروط معينة ؟

فجمدت الفتاة في مكانها وصعد الدم إلى وجهها ، وقالت :

– هذا صحيح ..

– ألم يكرر "**آدمز**" هذا الطلب حينما رأيته في الليلة الماضية ؟

فقالت الفتاة على الفور :

– إنني لم أتبادل معه كلمة واحدة؛ لأنه كان جثة هامدة حينما شاهدته ..

– ولماذا جاء إلى القصر ؟

– لا أعلم ..

– ألم يأتِ لكي يسألك أو يسأل جدك عن بعض الودائع التي حجزت أو أخفيت عند تصفية التركة ؟

– لا أعلم .. قلت لك إنني لم أتحدث إليه ..

فدس الشرطي يده في أحد جيوبه وأخرج علبة ذهبية صغيرة وقال :

– هل رأيت هذه العلبة من قبل ؟

فهزت رأسها سلبا . فقدم إليها العلبة قائلا :

– خذيها .. إن عليها شعار أسرتك .. أليس كذلك ؟

فأومأت برأسها إيجابا ، وراحت تقلب العلبة بين يديها ، ثم قالت :

– أين عثرت عليها ؟

– كانت مخبأة بين أمتعة "**جاك**" . وقد راح يتظاهر بأنه لا يعرف كيف وجدت هناك . إن جدك قد ترك لك رسالة . أرجو أن تطلعيني عليها .

فمدت الفتاة يدها إلى حقيبتها في صمت وأخرجت منها ورقة مطوية فتناولها الشرطي وراح يتلوها وما لبث أن قال :

– وأين الودائع المذكورة في هذه الرسالة ؟

فأجابت الفتاة في برود :

– ما دمت تعلم كل شيء مما يتصل بي ، فلا شك أنك تعلم كذلك أنه حينما قصدت مع الدكتور "**وود**" إلى الغرفة الزجاجية للبحث عن الودائع كما يشير جدي ، وجدناها قد اختفت ..

– وردت إليه العلبة الذهبية ..

وصمت الشرطي لحظة ، ثم سألها قائلا :

– أين فقدت قلمك يا آنسة ؟

فمدت يدها إلى سلسة ذهبية رقيقة حول عنقها ، وبدت عليها علامات الدهشة والحيرة وهزت رأسها قائلة :

– لا أذكر .. ولم أفطن قبل اليوم إلى أني فقدته .

فقال "وود" :

– هذا صحيح .. فقد سألت الآنسة في القصر بعد ظهر اليوم أن تعطيني قلمها ، فأجابت بأنها فقدته .. ..

ولم يكمل الشاب عبارته ، لأن رجل البوليس بسط يده فإذا بها القلم الذهبي الصغير . قال في هدوء :

– هل هذا قلمك يا آنسة ؟

– نعم أين عثرت به ؟

ولكنه تجاهل سؤالها وقال :

– اسمحي لي بأن أرى هذه السلسلة .

فنزعت الفتاة السلسلة من عنقها دون أن تنبس بكلمة وقدمتها إليه .. فانحنى الشرطي فوقها وراح يفحصها حلقة حلقة .. ثم وجه عنايته بعد ذلك إلى القلم الذهبي ..

وما لبث أن أخرج من أحد جيوبه عدسة ، ونهض إلى باب الكبينة حيث يتوفر الضوء . وراح يعيد فحص القلم تحت العدسة .

عاد إلى الفتاة بعد لحظة ثم قال وهو يدني منها القلم :

– أتقررين أن هذا القلم لك ؟

– بكل تأكيد .

– لقد عثرنا عليه تحت جثة "آدمز" . فكيف وجد في ذلك الموضع ؟

فامتقعت الفتاة إزاء هذه المفاجأة وارتجفت شفتاها .. على أنها لم تلبث أن ملكت نفسها وقالت :

– لا أدري .. وكل ما أعرفه أنني فقدته اليوم فقط ..

فدفع الشرطي بالسلسلة إليها وقال :

– إن الحلقة التي كان القلم معلقا بها تبدو مشوهة . ويلوح من هذا أن القلم قد نزع منها بقوة . . فما قولك في ذلك ؟

فهزت كتفيها وأجابت قائلة :

– لا شيء . . لقد ضاع هذا القلم مني ولكني لا أدري أين فُقد أو كيف ضاع . . هذا كل ما أعرفه .

– إن الإنكار لا يفيدك . . إنني أميل إلى الاعتقاد بأنك قتلت "**آدمز**" دفاعا عن نفسك . . لقد طلب منك أمرا . . فجذبت الحربة من موضعها كي تذودي بها عن نفسك . . وفي خلال الصراع الذي وقع بينكما ، طعنته بالحربة ، وتعلق هو بالقلم فانفصل عن السلسلة . . أليس هذا ما حدث ؟ . .

فهتفت الفتاة وهي تضرب الأرض بقدمها :

– لا ، وألف مرة لا . . أواه . . ما الفائدة من الكلام ؟! إن أحدا منكم لا يصدقني .

وهنا اقترب "**وود**" من الشرطي وقال والدم يغلي في شرايينه :

– اسمع يا صاحبي . . إنك أسرفت كثيرا .

فلم يتحرك "**بيجوري**" من موضعه وقال :

– أرجو ألا تتدخل فيما لا يعنيك .

ثم وجه حديثه إلى الفتاة قائلا :

– إذا كنت لم تقتلي "**آدمز**" ، فلماذا نظفت الحربة ، ثم طلبت إلى "**جاك**" أن يعيدها إلى موضعها ؟

فهتفت الفتاة غاضبة :

– إنني لم أفعل ذلك .

فقال وهو يبرز المنديل الملوث بالدماء :

– أحقًّا تقولين ؟ .. أليس هذا منديلك ؟

فتغضن محياها ، وأومأت برأسها إيجابا .

فقال الشرطي وهو يلوح بالمنديل :

– كيف تلوث المنديل بهذا الدم ؟ وما سر وجوده في أحد أدراج مائدة بالمطبخ؟

فلوحت الفتاة بيديها في يأس وقالت :

– في وسعي أن أفسر كل شيء ، إذا كنت تمهلني .. إنك تأخذ عليّ السبل بهذه الأسئلة المتلاحقة ..

– هذه المسألة ليست في حاجة إلى تفسير . إنك مسحت الحربة بهذا المنديل.. أليس كذلك ؟

فقالت في صوت دوى بين جوانب الغرفة :

– لا .. لقد شاهدت إحدى (فردتي الشبشب) الذي كان يلبسه جدي ملوثة بالدماء . ولابد أنه قد جر نفسه جرا إلى حيث كان "**آدمز**" ممددا ، وهوى في البهو وهو يسير ملتمسا من يسعفه . فمسحت آثار الدماء بمنديلي .. وكان ذلك عقب اهتدائي إلى وجود الجثة واعتقادي أن جدي هو الذي قتل "**آدمز**" . ولقد وضعت ذلك المنديل في أحد أدراج المطبخ وكان في عزمي أن أغسله ولكني ما لبثت أن نسيته . أرجو أن تعتقد في صدق هذه الوقائع .. وأقرر لك في إخلاص أني لم أر قط تلك الحربة . وإذا كان هناك من تناولها ومسحها ، فلابد أن يكون "**جاك**" . وأحسب أنه كان مثلي يعتقد أن جدي ...

وهنا قاطعها "**وود**" قائلا :

– لِمَ تحاولين حماية هذا الخادم يا "**أدريين**" .. ؟ إنك تعرفين حق المعرفة أن "**جاك**" هو الذي قتل "**آدمز**" . وهو الذي مسح الحربة وأعادها إلى موضعها؛ كي

يدفع الشبهة عن نفسه .

فقالت الفتاة موجهة كلامها إلى الشرطي :

– إن الدكتور "**ود**" لا يعلم شيئا في هذا الصدد ، إذا كان "**جاك**" هو القاتل، فإنه ما كان ليسكت على اعتقال "**ماتياس**" التعس ..

فأرسل الشرطي ضحكة لا تبشر بخير وقال :

– أصحيح أنه كان يفعل ذلك ؟ هل تريدين أن أنبئك لماذا كذب في كل أحاديثه! لقد أراد أن يحميك ..

فتراجعت الفتاة إلى الوراء وقد ضغطت بإحدى يديها على قلبها ، وهتفت قائلة :

– يحميني أنا ؟!

– إنني أتكلم بوضوح . لقد كان يشتبه منذ البداية في أنك قتلت "**آدمز**" .. ولما رأى أنهم عثروا على القلم ، انقلب شكه يقينا ..

فزمجر "**ود**" قائلا :

– ألا ترى يا رجل أنه أخذ يذر الرماد في عينيك ؟ إن "**آدمز**" قد فاجأه متلبسا بسرقة الودائع ، فما كان منه إلا أن فتك به ، كما حاول أن يفتك بي بعد ظهر اليوم .. وها هو ذا يحاول الآن أن يلصق التهمة بالآنسة .

فقال الشرطي دون أن يفارقه هدوؤه :

– إنك مخطئ .. فقد بقي إلى آخر لحظة يبذل جهده لحمايتها ودفع التهمة عنها .. ولم يشأ أن يعترف بأن القلم قلمها حتى استدرجته إلى هذا الاعتراف.. وأحسب أن "**جاك**" لم يعتدِ عليك في الغرفة الزجاجية إلا لأنه كان يحسبك بمفردك . وقد حمل بمساعدة الآنسة تلك الودائع الثمينة إلى مكان أمين، ولم يكن يظن أنك ستهتدي إلى هذا السر .

فقال "**وود**"

– لا شك أنك مجنون ، إذا كان استنتاجك صحيحة فلماذا أنبأتني الآنسة برسالة جدها وسألتني أن أرافقها إلى الغرفة الزجاجية ؟

فهز "**بيجوري**" كتفيه وقال وهو يحملق إلى وجه الفتاة :

– على الآنسة أن تفسر تصرفاتها ..

وفي هذه اللحظة أقبل الكونستابل "**بيسونيت**" وقال محدثا "**بيجوري**" :

– إن رجال البوليس في "**تروابون**" يطلبون مخاطبتك تليفونيا يا سيدي ..

– تحدث بالنيابة عني يا "**بيسونيت**" .. فإنني الآن في شغل عن حديثهم .

– إنهم يريدونك لأمر مهم يا سيدي .. فإن الأعور قد فر من السجن بعد ظهر اليوم .

- 21 -

هتف "**بيجوري**" في دهشة ويأس :

– فر ؟! هذا بديع .. إنهم قبضوا أولا على رجل بريء ربما استطعنا أن نفيد من أقواله .. ثم عادوا فتركوه يفر قبل أن أتمكن من مقابلته .. لعنة الله على هذه السجون القروية .. يا "**بيسونيت**" ..

– نعم يا سيدي .

– أرسل في الحال من رجال البوليس من يكمن لـ"الأعور" في كوخه حتى إذا لجأ إليه ألقي القبض عليه في الحال .. ولكن صبرا .. وتحوَّل إلى الفتاة فجأة وسألها :

– هل جئت بأمتعتك يا آنسة ؟

– نعم ..

– إنني أريد تفتيشها . . فهل تسمحين ؟

فهزت كتفيها في قلة اكتراث . قال :

– إذن فأعط الكونستابل مفاتيح الحقائب . ولكن صبرا . . سأذهب معك يا "**بيسونيت**" . .

وحنى قامته للفتاة باحترام وقال :

– سنستأنف الحديث فيما بعد يا آنسة . .

ثم اختطف قبعته وانطلق مع الكونستابل .

قال الدكتور "**وود**" وهو يشيعه بنظرة غضب :

– يا له من حيوان !! إنه كان يتحدث إليك كأنك متهمة .

فأشاحت "**أدريين**" عنه بوجهها وقالت تُحدِّث "**تريد جولد**" :

– أريد أن أسألك معروفا . ولا أعلم هل ستجيبني إليه ؟ إن لديك سيارة . أليس كذلك ؟ هل لك أن تتكرم بالذهاب بي إلى الدير ؟

فهتف "**وود**" في دهشة :

– إلى الدير ؟! وماذا تريدين أن تفعلي في الدير ؟!

ولكنها لم تحول عينيها عن وجه "**تريد جولد**" فأجاب هذا :

– بكل تأكيد . ولكن يحسن قبل كل شيء أن تتناولي شيئا من الطعام !

– لا . لا أريد أن أتناول شيئا من الطعام . لقد تغير رأيي في الإقامة هنا .

فهتف "**وود**" في جزع وقلق :

– "**أدريين**" ؟

ولكنها تجاهلته وقالت لـ"**تريد جولد**" :

– هل تذهب بي ؟

– بالتأكيد . .بالتأكيد أيتها العزيزة . . ولكن . .ماذا كنت أريد أن أقول . .

آه . . – ولكن حقائبك ؟

– كلا . . لا أريد حقائبي . . ولا أمتعتي . . لا أريد البقاء هنا لحظة أخرى .

فصاح الطبيب محتجا :

ولكن ماذا حدث يا "**أدريين**" ؟

وقال "**تريد جولد**" :

– يجب أن تتناولي شيئا من الطعام أولا . . وبعد . . فأنا لست واثقا بأن السيد "**بيجوري**" يسمح لك بالانصراف من هنا . إنني على استعداد للذهاب بك إلى حيث تريدين . . في أي وقت تشائين . . ولكن أقترح عليك التريث .

ثم قدّم إليها كأسا من الشراب فرفضتها أولا . ولكنه ألح عليها فقبلت . قال :

– هناك بضعة أسئلة أرجو أن تجيبي عنها؛ لأنها في اعتقادي على شيء من الأهمية . . أنا شخصيا أعتقد في براءتك، وأريد أن أثبتها بالدليل القاطع. فحدثيني ماذا تعلمين عن "**بوشيرون**" ؟

نظرت إليه متسائلة وقالت :

– ماذا تعني ؟

– لقد قرر "الأعور" أن جدك بعث به إلى بيت "**بوشيرون**" لكي يدعو هذا الأخير إلى مقابلته .

– أعتقد أنه دعاه بشأن ريع بعض قطع الأرض الصغيرة التي نملكها؛ لأنه لم يدفع هذا الريع منذ ستة أشهر . وامتنع عن الرد على رسائل جدي .

– لماذا ؟

– لقد كان جدي يعلل ذلك بالكساد وسوء الحالة الاقتصادية وفقر الزراع . ولكني أعتقد أن "**آدمز**" هو الذي حضه على عدم إرسال النقود التي يستحقها

جدي .

– ولكن لماذا أرسل جدك يدعوه على عجل في مثل تلك الساعة المتأخرة من الليل ؟ إنه صبر ستة أشهر .. وكان يستطيع أن يتريث يوما آخر .

فهزت رأسها وأجابت :

– لا أعلم ..

فنظر "**تريد جولد**" إلى الفضاء وقال كأنه يحدث نفسه :

– لقد كان جدك مرتديا ثيابه كاملة . وكنتِ و"**جاك**" نائمين .. أفلا يحتمل أن يكون "جدك" قد رأى أن الفرصة مناسبة لتفقد التحف الأثرية الثمينة .. فلما بحث عنها ولم يجدها .. أرسل في الحال يدعو "**بوشيرون**" بصفته وكيل أعماله هنا .. والوحيد الذي كان يحتفظ بمفاتيح القصر .

فأطرقت برأسها وقالت :

– إنني لم أفكر في ذلك قط .

– هل تسمحين لي بنصيحة أقدمها إليك يا آنسة ؟

فنظرت إليه متسائلة . قال :

– إنني أنصح لك بألا تبرحي هذا المكان . فهو في اعتقادي المكان الوحيد الذي تستطيعين أن تأمني فيه على نفسك إنني أعتقد أن كل إنسان له ضلع في هذه القضية مستهدف للخطر .

فانكمشت في مكانها وهتفت :

– أتقول حقًّا ؟

– نعم .. هل تمكثين هنا إذن ؟

– حسنا ..

وهنا تحول "**تريد جولد**" إلى صاحبه وقال :

– دعني أسألك معروفا يا "**وود**" . عليك أن تقف في هذه الشرفة بينما أتسلل إلى شرفة السيد "**آدمز**" ؛ لأنني أريد أن ألقي نظرة على محتوياتها .

– ولكن الكبينة مغلقة ومفتاحها عند "**بيجوري**" ..

– لا بأس .. فهناك النوافذ .

– وإذا عاد "**بيجوري**" فجأة ..

– إذا عاد فليذهب إلى الشيطان .

وما كاد "**تريد جولد**" يبتعد حتى تحوَّل الطبيب الشاب إلى "**أدريين**" وقال لها :

– حقًّا إنه رجل نشيط .. ومخلص .

ولكنها لم تجبه .. بل نهضت واقفة وحاولت أن تنصرف فأمسك بساعدها وسألها في قلق :

– إلى أين تذهبين ؟

– إلى غرفتي .

– بل اجلسي . ودعينا نتحدث .

فأجابت وهي لا تزال تشيح بوجهها عنه :

– شكرا لك . ولكني أفضل الوحدة .

– يا لله ماذا أصابك ؟!

– لا شيء ..

– ولكن هذا جنون .. هل تعتقدين أنني أسأت إليك ؟

– أرجو أن تدعني أذهب إلى غرفتي .

– لن أدعك تذهبين حتى أعلم سبب إعراضك عني .

– فنظرت إليه في غضب وصاحت :

– لماذا تعمد إلى الرياء والنفاق ؟!

– لا أفهم ماذا تعنين ؟!

– ألا تعتقد بأنك خدعتني ! ألست أنت الذي أنبأت ذلك المفتش بأن "**جريون آدمز**" زارنا في "**باريس**" وطلب الاقتران بي ؟!

– نعم .. لم أنبئه بشيء من ذلك .

– إذن كيف علم ؟!

– إن لرجال البوليس طريقتهم الخاصة في استقصاء أسرار الناس .. تلك هي مهنتهم .

– لو أنك كنت على شيء من كرم الخلق لما عبثت بثقتي بك .

– أتعتقدين أنني سردت قصتك على "**بيجوري**" ؟

– إن حكاية "**باريس**" لا يعلمها إلا أنا وجدي وأنت .

– أقسم لك بشرفي إنني لم أذكرها لكائن من كان . حتى ولا لـ"**تريد جولد**" .

فهزت كتفيها وقالت :

– لا أستطيع أن أصدقك .

وانطلقت إلى غرفتها غير عابئة بتوسلاته .

وما هي إلا لحظة حتى أقبل "**تريد جولد**" وسأله :

– أين ذهبت الفتاة ؟

– إنها انطلقت إلى غرفتها .

– حسنا فعلت . والآن أصغ إليّ .. سأذهب في الحال إلى القرية لشأن يتصل بالقضية التي نحن بصددها ومتى عاد "**بيجوري**" فدعه ينتظرني . التمس أي عذر لإبقائه هنا قل له : إن من الضروري جداً أن أقابله الليلة .

قال ذلك ودخل الكبينة ورآه "**وود**" يفتح حقيبته ويتناول مسدسه فسأله في جزع :

– ماذا تريد أن تفعل بهذا المسدس ؟

– لا شيء .. إنني أحتفظ به للطوارئ فحسب .

وصمت لحظة ثم عاد فاستطرد :

– وبهذه المناسبة أرجو أن تحذر الفتاة مرة أخرى بألا تبرح المصيف .

– أتظنها في خطر ؟

– إننا جميعا في خطر .. ما دام القاتل الحقيقي لا يزال حرا طليقا .

– إن الفتاة تتهمني بأنني قصصت على "**بيجوري**" قصتها .. وتقسم بأن أحدا لا يعلم بهذه القصة سوانا .

– هل قصت عليك قصتها في إحدى الغرف ؟

– بل فعلت ذلك في الخلاء .. في الغابة .. وكنا قد جلسنا بين الأشجار للراحة .

– هل سمع حديثكما أحد ؟

– لا ..

– ولم يمر بكما أحد ؟

ففكر "**وود**" قليلا ثم أجاب :

– أذكر أنني رأيت على مبعدة سيارة زرقاء ..

فهتف "**تريد جولد**" :

– سيارة زرقاء !! كسيارة "**بوشيرون**" ؟!

– آه ! نعم .. كسيارة "**بوشيرون**" .. يا لله .. لا يبعد أن يكون هذا الرجل قد تعقبنا إلى الغابة فإلى القصر !

وأقول لك الحق : إن سلوك هذا الرجل قد رابني .. فإنه حاول أن يمنع "**أدريين**"

من مغادرة القصر حتى يحضر مفتش البوليس .. أي أنه أراد أن يورطها ويلصق بها التهمة مهما كلفه ذلك .

– صبرا .. سأجعل هذه المسألة موضع عنايتي متى عدت .

- 22 -

كانت الشمس قد بدأت تنحدر وراء الأفق عندما وصل "**تريد جولد**" إلى القرية فقصد لتوه إلى حانوت "**روفيير**" وقابلته زوجة هذا الأخير وعندما سألها عن زوجها أنبأته باللغة الفرنسية أنه في (الجراج) . وطلبت إليه أن ينتظره وما هي إلا لحظة حتى قدم العمدة فرحب به وقال :

– لا شك أنك جئت في طلب المزيد من طوابع البريد لقد كان بودي أن أقدم إليك مجموعة ثمينة ولكن حوادث الأيام الأخيرة شغلتني . ومع ذلك فقد أعددت لك بعض الطوابع .

ووضع أمام "**تريد جولد**" طائفة منها فقال هذا الأخير :

– هل تسمح لي بأن آخذها معي لأفحصها على مهل ؟

– بالتأكيد .. بالتأكيد ..

وأحصى "**تريد جولد**" الطوابع وسجل عددها على غلاف قديم وجده على أرض الحانوت . ووضع الطوابع في الغلاف وغاب العمدة لحظة ، ثم عاد حاملا زجاجة وكاسين ، فملأهما وقدم إحداهما إلى "**تريد جولد**" وهو يقول :

– جرِّب هذا الشراب .

فتناول "**تريد جولد**" الكأس وازدرد محتوياتها وقال :

– هذا شراب قوي أليس كذلك ؟ مم يصنع هذا الشراب ؟

– من الكحول النقي والليمون والسكر .

– هل ذلك من المشروبات المهربة ؟

فلمعت عينا "**روفيير**" وقال :

– هل تعتقد أن العمدة يقدم على خرق القوانين ؟

فابتسم "**تريد جولد**" وقال :

– لقد ذكر لي أحد أصدقائي في "**كويبك**" أنه يندر أن تباع في قرى "**كندا**" مشروبات روحية دفعت عنها ضريبة جمركية .

فهز "**روفيير**" رأسه وأجاب :

– هذا الكلام ينافي الحقيقة .

– بهذه المناسبة .. هل بلغك نبأ عن "**ليرميت**" ؟

– إنه لاذ بالفرار .. ولا يبعد أن يكون قد تخطى الحدود

– هل بلغك أن "الأعور" فر من سجنه ؟؟

– نعم .. فقد جاءني أحد رجال الشرطة وطلب أحد الأدلاء لإرشاد البوليس عن مسالك الغابة .. وقد وُضِع كوخه الآن تحت الرقابة .

– وما قولك في " **ليرميت**" وفراره ؟ في اعتقادي أنه إذا لم تكن له صلة بالجريمة فإن ..

– ليس في استطاعتي أن أبرر فرار هذا الرجل ..

– أظن أن " **ليرميت**" و"**باتيس**" يستطيعان أن يفيدا التحقيق ولكنهما يؤثران الصمت على الكلام ..

– هل تعني "**باتيس**" الدليل ؟

– نعم .. فماذا تعلم عنه ؟

فظهرت على وجه "**روفيير**" علامات التردد ولكنه ما لبث أن قال :

– إنني رأيته في صباح اليوم وهو يدخل بيت "**بوشيرون**" .

– هل هذا كل ما تعلم عنه ؟ ولكن يحتمل أن يكون "**بوشيرون**" قد احتاج إلى الدليل؛ لرغبته في صيد السمك برفقته.

– إن "**بوشيرون**" ليس من هواة الصيد ..

فصمت "**تريد جولد**" لحظة ثم سأل :

– هل يربح "**بوشيرون**" كثيرا من مكتبه ؟

– إنه يربح كثيرا .. ولكنه أضاع نقوده في المضاربات وقد جاءني منذ أيام يطلب قرضا ..

فأشعل "**تريد جولد**" غليونه .. وتناول الغلاف الذي وضع به طوابع البريد وهمَّ بالانصراف . ولكن "**روفيير**" استوقفه بقوله :

– إنني بحاجة إلى نصحك يا سيدي .. وقد كان في استطاعتي أن أتصل بالسيد "**بيجوري**" لو أن لي ثقة بهذا الرجل .. نعم .. كان بودي أن أتحدث إليه عن "**بوشيرون**" ..

– وماذا تعلم عن "**بوشيرون**" ياسيدي العمدة ؟

– هل تذكر قوله : إنه لم يعد من "**تروابون**" ليلة أمس قبل الساعة الحادية عشرة ؟

– نعم ..

– إنه لم يذكر الحقيقة في هذا الصدد فقد قرر "**لافوامبواز**" الخباز أنه رأى سيارة "**بوشيرون**" أمام منزله في الساعة العاشرة والنصف .. وبعد خمس دقائق انطلقت السيارة في سبيلها .

– وهل رأى الخباز الأستاذ "**بوشيرون**" ؟

– لا .. ولكن مادامت السيارة كانت هناك .. فلابد أنه كان هناك كذلك؛ لأنه يقود سيارته بنفسه .

– وهل تحدثت إلى "**بوشيرون**" في هذا ؟؟

– لا ؛ لأن من المؤلم أن أصارحه بأنه كاذب .

ففكر "**تريد جولد**" قليلا ثم قال :

– إذن لا تذكر له شيئا .. واترك الأمر لي .

عاد "**تريد جولد**" عقب ذلك إلى المصيف فوجد زميله الدكتور "**وود**" ممددا في فراشه وبين يديه كتاب يقرؤه .

سأله وهو يخلع قبعته :

– هل عاد "**بيجوري**" ؟؟

– لا .. ولكن ماذا فعلت أنت ؟؟

فلم يجب "**تريد جولد**" عن هذا السؤال بل قال :

– هل ستقابلك الفتاة غدا ؟؟

– بالتأكيد ..

– إذن فأنبئها أن ذلك الشقي "**بوشيرون**" هو الذي سرد قصتها على مفتش البوليس .. فإذا لم تصدقك فاستشهد بـ"**بيجوري**" .

وفي هذه اللحظة أقبل مفتش البوليس .. وقد بلل المطر ثيابه ..

كان متجهم الوجه منقلب السحنة ، فلم يكد "**تريد جولد**" يراه على هذه الحال حتى نهض واقفا .

هتف "**بيجوري**" بصوت أجش :

– "**ليرميت**" ..

فصاح "**تريد جولد**" :

– ماذا ؟!

– قُتل خنقا .. لقد عثروا على جثته في الغابة هذا المساء .

- 23 -

خُيِّل إلى "**وود**" أن يدا خفية امتدت ومحت عن وجه "**تريد جولد**" آخر أثر لتلك الطيبة التي كانت تلوح عليه ، وبدت له عينا الرجل باردتين قاسيتين وهو ينظر إلى مفتش البوليس ويسأل في ثبات :

– أين وُجد "**ليرميت**" ؟!

– على بعد ميلين من الناحية الأخرى من القرية وعلى الطريق العام المؤدي إلى "**ترو ابون**" . لقد كانت الجثة ملقاة بين المزارع وكان اكتشافها محض مصادفة إذ أرسل أحد الزراع كلبه يسعى وراء أرنب . .

– ومتى حدثت الجريمة ؟!

– في الصباح الباكر على ما يبدو . وأعتقد أنه أسلم الروح منذ اثنتي عشرة ساعة على الأقل .

– ألم يعثر على آثار ؟!

– تقول زوجته : إنه سمع حول الفجر صوت حصى يلقى على زجاج نافذة غرفة النوم ، فارتدى ثيابه على عجل وخرج دون أن ينبئها عن وجهته . . ولكن أحدا لم يره بعد ذلك

– وكيف قُتل ؟

– يغلب أنه قُتل خنقا ولكن الحبل الذي استعمل في الجريمة لم يوجد إلى جانب الجثة .

– وماذا عندك من أنباء "الأعور" ؟!

– مازال حرا طليقا . . ولم يقرب كوخه .

وتوقف لحظة رمى فيها محدثه بنظرة حادة ثم استطرد :

– ولكن "الأعور" لم يقترف هذه الجريمة يا سيد "**تريد جولد**" فإنه لم يفر إلا

في ساعة متأخرة بعد الظهر .

– إنني أوافقك . بل إن "**ليرميت**" لم يُقتل إلا لهذا السبب .

– لا أفهم ما تعني .

– أعني أن "**ليرميت**" قُتل لأن "الأعور" كان لا يزال مسجونا وقد كان في استطاعة "**ليرميت**" أن يصرح بأن "الأعور" كان عنده وقت ارتكاب الجريمة وبذلك ينقذه .. أليس هذا ما تعنيه ؟

– بلى .. والواقع أنه قبل ظهوره على مسرح هذه القضية لم يكن هناك أي شك في إدانة "الأعور" .. وكان "**ليرميت**" شاهدا خطيرا قد يقف حجر عثرة في طريق الإدانة ..

– ولكن "**باتيس**" لا يزال حَيا ، أليس كذلك ؟

– سوف يأسف على بقائه حيا قبل أن أنتهي معه ..

– هل تعلم أنه زار "**بوشيرون**" في الصباح الباكر ؟

فظهرت علامات الدهشة على وجه "**بيجوري**" وقال :

– هل فعل ذلك ؟ .. إنني فكرت في "**بوشيرون**" هذا يا سيد "**تريد جولد**" فقد خطر لي بعد رحيلك بعد الظهر أن أعود لفحص آثار إطارات السيارة بواسطة عدسة مكبرة فاتضح لي أنها قريبة الشبه جداً من الإطارات التي وجدنا آثارها أمام القصر .

– وهناك أمر آخر جدير بالاعتبار .. فقد قرر "**بوشيرون**" أنه لم يعد من "**تروأبون**" ، إلا بعد الساعة الحادية عشرة مساء أمس ، ولكن سيارته كانت واقفة أمام باب منزله في منتصف الساعة الحادية عشرة .

– وكيف علمت ذلك ؟

– لقد رآها "**لافوامبواز**" الخباز في ذلك المكان ، ولم تنقضِ خمس دقائق

حتى اختفت .

– أي أنه انطلق بها في الساعة العاشرة والدقيقة الخامسة والثلاثين ! ولقد ابتدأ سقوط المطر في الساعة العاشرة والدقيقة الخامسة والأربعين فإذا صحت نظريتك كان لأثر إطارات السيارة معناه . وكان من المؤكد ذهاب "**بوشيرون**" إلى القصر مباشرة .. ترى هل اشترك الثلاثة – أعني "**بوشيرون**" والفتاة والخادم – في ارتكاب الجريمة ؟ إن "**بوشيرون**" هو الذي قدم إليّ الكثير من المعلومات عن الفتاة ، فلماذا فعل ذلك ؟

وهنا تدخل "**وود**" في الحديث وقال :

– لأنه يريد ذر الرماد في العيون وإبعاد الشبهة عنه ، ولهذا السبب كذلك أقدم على قتل "**ليرميت**" المسكين .

فقال "**بيجوري**" :

– ولماذا قتل "**آدمز**" ؟

– لأنه هو الذي سرق التحف الأثرية ، فلما اشتبك مع "**آدمز**" في النقاش والجدل قتله .

– ولكن لماذا قصد "**آدمز**" إلى القصر في ليلة الجريمة ؟

ثم نظر إلى "**تريد جولد**" وقال :

– لقد كنت على حق .. إننا لن نصل إلى نتيجة حتى نعرف سبب حضور "**آدمز**" إلى "**سان فلورنتين**" . لقد أبرقت بعد ظهر اليوم إلى مكتبه في "**تورنتو**" للحصول على معلومات في هذا الصدد .

فمد "**تريد جولد**" يده إلى حافظته الموضوعة على مائدة الزينة وتناولها وأخرج منها ورقة وهو يقول :

– أظن في استطاعتي أن أفسر هذه النقطة .. بينما كنت أنت في "**تروابون**"

انتهزت الفرصة وفتشت كوخ "**آدمز**" ، فوجدت هذا الخطاب في حقيبة ملابس "**آدمز**" ، وهو مرسل باسم "**آدمز**" بعنوانه في "**تورنتو**" وصادر من محل "**روي وميشو**" من تجار التحف الأثرية بشارع "**سان لويس**" بمدينة "**كويبك**" .. أما تاريخه فيرجع إلى السابع عشر من شهر تموز (يوليو)، أي منذ ثلاثة أسابيع .. هل أقرؤه ؟

وأشار "**بيجوري**" بالإيجاب فقرأ "**تريد جولد**" :

"سيدي ...

ردا على استعلاماتك عن التحف والأطباق التي اشتريتها حديثا من محلنا، نقول : إن الموظفة التي ابتاعت لنا هذه التحف قد عادت من إجازتها ، وهي تقرر أنها تعتقد أن التحف عرضت علينا في حزيران (يونيو) الماضي بواسطة امرأة مجهولة ، رفضت أن تفضي باسمها ، وأن تلك المرأة كانت ولا شك فرنسية كندية ، يدل مظهرها وأسلوبها في الكلام على أنها من الريف ..

ونحن ننتهز هذه الفرصة لننبئك بأننا سوف نحجز لك أية قطعة من التحف الثمينة عليها شعار "**سان ريمي**" ..

"وتفضل .. إلخ .." .

وانتهى "**تريد جولد**" من تلاوة الرسالة واستطرد قائلا :

– أظن أن معك رسالة "**هكتور دي سان ريمي**" إلى حفيدته ، فهل أستطيع أن أراها ؟

فأخرج "**بيجوري**" الرسالة من جيبه وقدمها إلى "**تريد جولد**" وتناول منه خطاب "**آدمز**" ليقرأه بنفسه .

وقرأ "**تريد جولد**" الرسالة ثم قال :

– أصغ إلى هذه العبارة . إنه يقول " .. إن التحف والأطباق الخاصة بجدتك

والتي تحمل شعار الأسرة .."

ثم كف عن القراءة وقال :

_ لا شك في أن "**آدمز**" رأى بعض هذه الأواني معروضا في نوافذ ذلك المتجر في "**كويبك**" فراح يستعلم .. ولعل هذا هو سبب ذهابه إلى "**سان فلورنتين**" ؛ ليستعلم عن كيفية وصول أواني الأسرة إلى الأسواق .

وكان "**بيجوري**" يتصفح خطاب "**آدمز**" باهتمام ويقرأ بتؤدة هذه العبارة .. "وأن تلك المرأة كانت ولا شك فرنسية كندية يدل مظهرها وأسلوبها في الكلام على أنها من الريف .."

ثم رفع بصره عن الخطاب وقال محدثا "**تريد جولد**" :

_ إن بمنزل "**بوشيرون**" امرأة تديره وقد فتحت لي الباب بعد ظهر اليوم ، وهذا الوصف ينطبق عليها .

ثم نظر إلى ساعته وقال :

_ الساعة الآن العاشرة وعشرون دقيقة ! أرجح أن يكون "**بوشيرون**" بمنزله الآن . سأذهب وأراه في الحال .

فقال "**تريد جولد**" مقترحا :

_ ألا يحسن بك أن تقابل "**باتيس**" أولا ؟

_ هذه فكرة لا بأس بها ، فإنه كلما زادت معلوماتنا أمكننا تضييق الخناق على "**بوشيرون**" .. سأذهب الآن لأقابل "**باتيس**" بمنزل قاضي التحقيق . فقد طلبت منه أن يحضره إلى منزله في الساعة العاشرة .

_ إذن دع مقابلة "**بوشيرون**" إلى الغد .. إننا نقاوم عدوا قادرا خطيرا . وإذا نحن أهملنا نقطة واحدة فسوف يفلت من أيدينا .. يجب عليك أولا أن تتم أبحاثك فترى "**باتيس**" وتحادث "**لافوامبواز**" ، وتجمع كل دليل يمكنك

الحصول عليه ، ولا تقدم على مهاجمة "**بوشيرون**" قبل أن تؤيده بالبراهين والأدلة .

– إنني لا أميل إلى التأجيل والتأخير ولكن يُخيّل إليَّ أنك تعتزم أمرا معينا فكم من الوقت يكفيك .

– أربع وعشرون ساعة .

– حسنا . .

– إنما أرجو أن تحمي" **باتيس** "من كل اعتداء .

– حسنا . . وأين الفتاة ؟

فقال "**وود**" :

– لقد ذهبت إلى غرفتها منذ ساعات .

– إذن يجب أن أراها الآن .

فهز الطبيب كتفيه وقال :

سأذهب لإحضارها .

– كلا . . بل دعها تنتظرني .

وبعد انصراف الطبيب الشاب . التفت "**بيجوري**" إلى "**تريد جولد**" وقال له :

– إن "الأعور" قرر قبل فراره أن يتكلم بعد ظهر اليوم . ولكنه أصر على ألا يفضي بشيء إلا للفتاة . . وكانوا يجدون في الوصول إليها عندما فر "الأعور" .

– إذن يجب أن نجد "الأعور" أولا .

فسار "**بيجوري**" إلى الباب وفتحه ليلقي بلفافة التبغ التي كان يدخنها وهو يقول :

– سنجده حتما .

– عندما تقابل الفتاة يحسن أن تفهمها أن "**وود**" لم يروِ لك عنها شيئا . . إذ

يُخيّل إليّ أنها . . .

وفجأة توقف "**تريد جولد**" عن الكلام . إذ دوى في تلك اللحظة صوت طلق ناري يصم الآذان .

- 24 -

لم يدم الوجوم الذي اعترى الرجلين على أثر الطلق الناري أكثر من لحظة قصيرة تبادلا فيها النظرات . ثم هتف "**بيجوري**" :

– يالله لقد أصابوا الدكتور "**وود**" !

وكان لا يزال ممسكا بمصراع الباب فاندفع منه كالسهم وتبعه "**تريد جولد**" .

وكان صوت الطلق الناري قد أيقظ المصطافين . فتعالت الأصوات من كل ناحية. وراح "**تريد جولد**" يعدو بكل قوته ، إلى أن اصطدم بـ "**تيسيران**" وكان يرتدي ملابس النوم الفضفاضة ، وقد ألقى على كتفيه معطفا قاتم اللون ، ووقف عاري القدمين .

هتف "**تيسيران**" ، وأسنانه تصطك :

– لقد أطلق عيار ناري الآن . . هل سنقتل جميعا ونحن نيام ؟

ولم يجبه "**تريد جولد**" إذ قطع عليهما الحديث صوت الجنرال "**ريس**" ، وهو يصيح قائلا :

– ماذا حدث ؟

وارتفع صوت "**بيجوري**" فوق جميع الأصوات ، وكان يصيح : يا دكتور !! هل أصبت بسوء ؟

وشق "**تريد جولد**" طريقه إلى الأمام وراح يبحث عن "**بيجوري**" الذي أخفته الظلمة الحالكة ، ولكنه ما لبث أن رأى الدكتور "**وود**" قادما من بين الأشجار

وهو يتعثر لاهثا وماء المطر يقطر من وجهه وثيابه ، فهتف قائلا :

– شكرا لله ! ماذا حدث ؟

وترنح الشاب بين ذراعي صديقه فصاح "**تريد جولد**" :

– يا لله ! هل جرحت يا "**جورج**" ؟

فهز الطبيب رأسه وقال :

– لا . ولكنني متعب .. لقد أطلق مجهول عيارا ناريا عليَّ فطاردته .. انتظر لحظة حتى أستريح .

واستند الشاب إلى جذع شجرة وهو يلهث تعبا .

ووصل "**بيجوري**" في تلك اللحظة . وفي أثره الجنرال ، و"**تيسيران**" ، و"**مونتجومري**" وزوجته ، وإحدى بنات "**تيسيران**" .. وكان "**آنج ترمبلاي**" آخر من وصل إلى المكان .

وتكلم الجميع في وقت واحد ، ماعدا "**تريد جولد**" الذي لزم الصمت .

قال الجنرال محدثا "**وود**" :

– ماذا حدث ؟ ومن ذا الذي أطلق النار ؟

فمسح الطبيب وجهه وقال :

– كان الطريق مظلما ، وقد وصلت إلى هذه البقعة أو على بعد خطوات منها وعندئذ أطلقت الرصاصة فمرت على بعد سنتيمترات من أذني ..

– ومن أية جهة أطلقت الرصاصة ؟

– من بين الأشجار .. ولقد ارتميت على وجهي؛ خشية أن يعاود المعتدي إطلاق النار ، ويغلب على ظني أنه لم يرني لشدة الظلام فلم يعاود الكرة ولاذ بالفرار .. وسمعت صوت خطواته صادرا من هذه الناحية فقفزت مندفعا وراءه.

– وهل رأيت المعتدي ؟

– لا .. ولكن وقع خطواته كان مسموعا فتبعته ولم أستطع اللحاق به في هذا الظلام .

والتفت الطبيب إلى "**تريد جولد**" وقال :

– هيا بنا ، إن ماء المطر قد بلل عظامي .

ولكن الجنرال لم يقنع بهذا الإيضاح ، والتفت إلى الحارس قائلا :

– ما رأيك في هذا الحادث يا "**ترمبلاي**" ؟ إن أحدنا قُتل والثاني أطلق عليه الرصاص . فماذا حدث لرجال البوليس الذين كانوا هنا بعد ظهر اليوم ، لماذا لا يدفعون عنا هذه الأخطار ؟

وكان "**بيجوري**" قد اختفى من بين الجماعة ، فعاد إلى الظهور في تلك اللحظة وأقبل من ناحية الكبائن وهو يصيح :

– أين الحارس ؟

فتقدم "**ترمبلاي**" بمشعله وما كاد يقع عليه بصر "**بيجوري**" حتى صاح هذا الأخير :

– أين الآنسة "**دي سان ريمي**" ؟

ولم يجبه "**ترمبلاي**" على الفور بل نظر إليه مشدوها وظل واجما لحظة ثم تمتم قائلا :

– أليست في غرفتها ؟

– لا .

– لقد قالت لي منذ ساعتين إنها ذاهبة إلى فراشها .

– ولكن غرفتها خالية ، وفراشها مرتب لم يرقد عليه أحد ، لابد أنها ذهبت إلى القصر أو إلى بيت "**بوشيرون**" .. سأنطلق للبحث عنها .

وبعد انصراف مفتش البوليس ، ظل "**تريد جولد**" والدكتور "**وود**" يفكران

في أمر الفتاة ويضربان أخماسا في أسداس إلى أن أقبل عليهما "**ترمبلاي**" فجأة وأنبأهما بأن الفتاة قد عادت وأنها قالت إنها خرجت للنزهة .

فلم ينتظر "**وود**" أكثر من ذلك ، وانطلق مسرعا إلى الكبينة فقابلته الفتاة وعلى وجهها أمارات الفرح ... فبادرها "**وود**" بقوله :

– ما معنى هذا الاختفاء الفجائي ، هل علمت أننا بحثنا عنك في كل مكان؟ ألم يكن في استطاعتك أن تخبري أحدا بأنك خرجت للنزهة ؟

واحتواها الطبيب الشاب بين ساعديه وراح يهمس في أذنها قائلا :

– لقد ظننت أنني فقدتك .. " **أدريين**" .. إني لا أكاد أصدق أنني وجدتك ثانية ..

ولكنها سرعان ما تملصت من بين ساعديه فحوّل "**وود**" بصره فرأى "**تريد جولد**" بالباب يبتسم ويقول :

– أرى أنه قد تم التفاهم بينكما .. والآن أريد التحدث إلى الآنسة "**أدريين**" ، أما أنت يا "**جورج**" فيجدر بك أن تذهب وتنبئ "**بيجوري**" تليفونيا بأن الآنسة قد عادت .. أخطره بذلك في الحال وإلا أساء التصرف فتسوء العاقبة ..

وما إن خرج "**وود**" حتى قال "**تريد جولد**" يحدث الفتاة :

– إذن قد وجدت "الأعور" ؟

– وكيف عرفت ذلك ؟

– بالتفكير العميق ..

ثم أشار إلى أحد المقاعد وقال :

– اجلسي وحدثيني بما أفضى به "الأعور" إليك .



وبعد انصراف "**أدريين**" . نهض "**تريد جولد**" فورا وكتب رسالة . وطلب إلى الدكتور "**وود**" أن يذهب بها إلى العمدة فيسلمها إليه يدا بيد . ثم يلحق به عند القصر في الساعة التاسعة . حيث الجميع على موعد هناك مع "**بيجوري**" .

وفي الموعد المحدد . ذهب الدكتور "**وود**" إلى القصر ووجد القوم في قاعة الاستقبال . . وأحس بجو الغرفة مشحونا بالكهرباء .

التقت عيناه لأول وهلة بعيني "**أدريين**" فابتسمت له الفتاة ابتسامة طمأنته وأنسته همومه وقلقه .

وكانت الفتاة جالسة على مقربة من "**بيجوري**" . وكان هذا الأخير يوجه كل اهتمامه إلى "**بوشيرون**" الذي وقف منه موقف المتهم من القاضي .

وما كاد "**وود**" يدخل الغرفة . . حتى أغلق الكونستابل "**بيسونيت**" بابها واستأنف "**بيجوري**" إلقاء الأسئلة على "**بوشيرون**" .

- 25 -

سأل مفتش البوليس مسجل العقود :

– هل تقرر يا سيدي أنك دفعت ريع الأملاك للسيد "**هكتور دي سان ريمي**" ؟!

– نعم .

– وتقول إنه على أثر وفاة شقيقة السيد "**هكتور**" . . أصبح الموقف غير جلي من الوجهة القانونية . . فامتنعت عن إرسال النقود ؟!

– نعم .

– هل فعلت ذلك بتحريض السيد "**آدمز**" ؟

– لا .

– ألم تكن تعلم بوجود السيد "**آدمز**" في "**سان فلورنتين**" ؟!

– قلت لك إنني كنت غائبا في "**كويبك**" وقت وصوله ..

إنه قدم إلى المصيف يوم الأحد على ما أظن .. أما أنا فقد عدت من "**كويبك**" يوم الثلاثاء .

– أتعرف في "**كويبك**" متجرا لبيع التحف الأثرية باسم "**روي وميشو**" ؟

فهز "**بوشيرون**" رأسه وأجاب قائلا :

– إنني لا أعرف متجرا كهذا في "**كويبك**" ...

– ولكنك كنت تعرف محتويات القصر .. أليس كذلك؟

– نعم ... على وجه الإجمال .

– توجد بعض تحف توارثتها العائلة ولكنها فقدت .. وبين هذه التحف المفقودة علبة سعوط (نشوق) ذهبية وبعض الأدوات الفضية والخزفية ... فما سر اختفائها ؟

– لقد فكرنا في أن السيد "**هكتور**" لا يبعد أن يكون قد حملها معه إلى "**فرنسا**" ...

– ألم تعلم أنه كان قد أخفاها في الغرفة الزجاجية ؟

– لا لم أكن أعلم ...

– لكن "**آدمز**" كان يعلم ذلك . وهذا ما حمله على العودة إلى "**سان فلورنتين**" ...

– معنى هذا أنه كان يعلم ما لا أعلم ....

– إذن لم تعرف أن هذه التحف قد سرقت من مخبئها في القصر ؟ ..

– لا ...

– ولكن مهنتك كانت تحتم عليك أن تعرف هذه المسألة .. لقد كنت وكيل

صاحب القصر . وكنت تحمل مفاتيح الأبواب . .

أفلم يخطر ببالك أن السيد "**هكتور**" ربما لم يرسل في طلبك في الليلة الماضية إلا لاكتشافه السرقة ، وأنه قصد من دعوتك أن يسألك عنها ؟

– إنني لا أعرف لماذا أرسل في طلبي . . .

– متى عدت من "**ترو ابون**" في الليلة الماضية ؟

– بعد الساعة الحادية عشرة . . .

– ما السبب إذن في وجود سيارتك خارج منزلك حول الساعة العاشرة والنصف ؟ . . .

ورأى "**بيجوري**" أن "**بوشيرون**" يوشك أن يهز رأسه نفيا ، فأشار بأصبعه محذرا وقال :

– فكر قبل أن تجيب يا أستاذ "**بوشيرون**" . . فإن لدي شاهدا . .

ولأول مرة انقلبت سحنة "**بوشيرون**" ولكنه ما لبث أن قال :

– يحتمل أن أكون قد أخطأت في تحديد الوقت .

– معنى ذلك إذن أنك عدت حوالي الساعة العاشرة والنصف ؟ . . .

– قد يكون ما تقول .

– شكرا لك . . لماذا أرسلت في طلب الدليل "**باتيس**" صباح اليوم ؟

– لقد اتصلت بي شائعة مفادها أنه يستطيع إذا تكلم وقال ما عنده أن يبرىء "**ماتياس**" الأعور . . . فرأيت أن أسأله في هذا الصدد . .

– ألم يكن ذلك بقصد إعطائه مائة ريال لضمان سكوته عن الرسالتين اللتين حملهما إليك في منزلك من عند "**آدمز**" . . .إحداهما يوم الأحد ، والأخرى في الليلة الماضية ؟

وهنا وثب مسجل العقود واقفا وقال غاضبا :

– هذا كذب ..

– ماذا كنت تفعل في القصر في الليلة الماضية ؟

انفجر هذا السؤال كالقنبلة . فتلاشت حدة "**بوشيرون**" وأخلد إلى الصمت .. على أنه قال آخر الأمر ، وهو يجيل بصره بين الدكتور "**وود**" و"**تريد جولد**" :

– إن هذين السيدين سيعززان أقوالي .. ذهبت إلى القصر في رفقة قاضي التحقيق .

– أعني قبل ذلك .. أي قبل أن يذهب هذان السيدان أو سواهما إلى مكان الحادث ؟

– إنني لم أقترب من القصر قبل ذلك .. وإنما كنت في "**تروابون**" ..

وهنا تدخل "**تريد جولد**" بصوته الهادئ قائلا :

– إن شبهات "**بيجوري**" يا سيد "**بوشيرون**" تقوم على اكتشاف آثار أقدام حول القصر . لقد كانت آثار الأقدام ضيقة ومدببة يا أستاذ .. وهي تطابق كل المطابقة هذا الحذاء الذي تلبسه ..

فقال "**بوشيرون**" في لهجة الظافر :

– سأجيبك إلى ما تطلب .. لقد كنت أنتعل في الليلة الماضية حذاء من المطاط فوق الحذاء المعتاد ، وأنا أشهد على هذا خادمة فندق "**تروابون**" ؛ لأنني نسيت الحذاء المطاط في الفندق حينما غادرته وعدت لاسترجاعه ..

فقال "**بيجوري**" في إصرار :

– ومع ذلك فإنك جئت إلى هنا في الليلة الماضية ، فإن تلك الآثار قد تركها رجل ينتعل حذاء من المطاط .. وهذا الرجل قد وقف خارج نافذة غرفة الطعام وفي وسعي أن أحدد لك الوقت على وجه الدقة .. فقد كان ذلك قبيل انقطاع

هطول المطر عند الساعة الحادية عشرة . .

فارتجف مسجل العقود وتصبب العرق على جبينه ، وراح ينظر حوله كالأسد المجروح ولكنه هتف فجأة :

– هذا كذب . . هذه مؤامرة لإهلاكي . .

– لقد كنت هنا قبل الساعة الحادية عشرة . . وبقيت سيارتك في مكانها أمام الباب الخلفي من الساعة 10.45 إلى ما بعد انقطاع المطر ولا تزال آثار العجلات بادية للعيان دليلا على ذلك . . إنك أتيت إلى هنا لمقابلة "**آدمز**" الذي بعث برسالة مع "**باتيس**" ينبئك فيها بأنه ذاهب إلى القصر . . وقد وجدت هذه الرسالة بانتظارك حينما رجعت إلى منزلك . .لا تحاول الإنكار . . فقد قرر "**باتيس**" و"**لافوامبواز**" أنهما شاهدا سيارتك خارج منزلك . . وأقسما على ذلك لقد نزل بك الإفلاس وركبك اليأس . . ولم يكن لك من مصدر تستمد منه المال سوى أجور الأملاك التي عُهِدت إليك فذهبت تبتزها ، وقد رأيت أخيرا أنه لو علم السيد "**هكتور**" بأنك كنت تسلب التحف وتبيعها إلى تجار الآثار في "**كويبك**" فإنك ضائع لا محالة ولذلك قتلت "**آدمز**" لتحول دون وشايته بك . . وأكبر ظني أنك قتلت حارس الطاحونة الذي لا يبعد أن يكون قد فاجأك وأنت تنقل المسروقات من القصر . . وكذلك قتلت "**ليرميت**" ؛ لأنه كان يستطيع أن يشهد على براءة "**ماتياس**" الأعور ولما رأيت أن ظروفك قد ساءت وأصبح مركزك شديد الحرج ذهبت تحاول إلصاق التهمة بالآنسة "**دي سان ريمي**" فتهالك "**بوشيرون**" في مقعده ، وقال في صوت أجوف :

– على رسلك . . سأخبرك بما تريد . . . ولكني أطلب أولا قدح ماء . .

وتجرع "**بوشيرون**" الماء وراح يقول وقد سقط رأسه فوق صدره :

– حينما توفيت السيدة "**أنيتا**" شقيقة "**هكتور**" منذ ستة أشهر ، بدأت

أحجز إيجار الأملاك؛ ذلك لأنني كنت في أشد الحاجة إلى المال ، وقلت لنفسي إن السيد "**هكتور**" سوف يعتقد بلا ريب أن "**آدمز**" هو الذي أمرني بحجز الإيجار.. ولكني لا أعرف شيئا عن تلك التحف ، ولم أقتل "**آدمز**" أو سواه ..

ولقد كتب إليّ "**آدمز**" يوم الأحد الماضي يقول : إنه يقيم بالمصيف وأنه يود أن يراني . ولكني شغلت عن مقابلته بعد عودتي من "**كويبك**" . على أنني حينما رجعت إلى منزلي من "**تروابون**" وجدت رسالة أخرى من "**آدمز**" دفعها تحت الباب ..

فقال "**تريد جولد**" :

– هل معك الآن هذه الرسالة ؟

– لقد مزقتها .. ولكني أذكر مضمونها فقد أعرب لي فيها عن غضبه وقرر أن هناك ضوءا شُوهد بالقصر في تلك الليلة ، وأنه معتزم التحقق من ذلك وأنه لا فائدة من محاولتي تجنب مقابلته .. واقترح علي أن أقابله بالقصر وأن أحمل المفاتيح معي لنجتمع بداخله .

فسأله "**تريد جولد**" :

– وهل ذهبت ؟

فأومأ "**بوشيرون**" برأسه إيجابا ثم قال :

– كنت أعتقد أن السيد "**هكتور**" قد عاد إلى القصر؛ لأنه كتب يهدد بهذه العودة في إحدى رسائله إليّ بشأن الإيجار ...وكان معي المفتاح المؤدي إلى (الإسطبل) .. ولكنني رأيت أن أطوف بالقصر باحثا قبل أن أدخل إليه .. ولذلك تركت سيارتي عند الباب الخلفي ، وتقدمت إلى واجهة القصر الأمامية . وهناك شاهدت ضوءا ينبعث من غرفة الطعام . فاقتربت منها وشاهدت النافذة مفتوحة قليلا ، فجعلت أنظر من خلالها ، ووقع بصري على السيد "**هكتور**"

و"**آدمز**" واقفين أحدهما إزاء الآخر حول المائدة .. وكان السيد "**هكتور**" يصيح في صوت يتهدج من الغضب والانفعال "لقد ذهبت أموالي نهبا مقسما .."

فأدركت على الفور أنه أطلع "**آدمز**" على مسألة الإيجار .

– ألا يحتمل أن يكون حديثهما منصبا على التحف التي كان يخفيها بالقصر؟

– بل كانا يتناقشان في مسألة الإيجار؛ لأن "**آدمز**" كان يمسك بيده قلما وقطعة من الورق . وهو القلم الذهبي الذي وُجد تحت جثته – وكان في جيبه كما تذكرون قائمة حساب دُونت بها بعض الأرقام بالقلم الرصاص . وهي تفصيل لمبالغ الإيجارات السنوية .. ومن هذا علمت أن هذه المسألة كانت مدار حديثهما .. وبعد ذلك غادر الرجلان الغرفة .

– وهل هذا كل ما تعرفه ؟

– إنني أشهد الله على صدق ما أقول ..

فقال "**بيجوري**" في إيجاز وهو يجمع أوراقه :

– سأعتقلك للاشتباه في أمرك . وسوف أعد ملخصا بأقوالك كي توقع عليه..

على أنه ما لبث أن بتر حديثه .

ذلك أن "**تريد جولد**" اقترب منه وساعته بيده وتحدث إليه همسا . وعلى أثر ذلك التفت "**بيجوري**" إلى اثنين من رجاله وقال :

– إنني أترك هذا الرجل في حراستكما .. فتشاه وجرداه مما يكون معه من الأسلحة .. أما أنت يا "**بيسونيت**" فتعال معي .

وأجال بصره في جوانب الغرفة ثم استطرد :

– لا تدعا أحدا يبرح القصر حتى أعود ...

وسار إلى الباب وتبعه "**تريد جولد**" والدكتور "**وود**" .

- 26 -

ما كاد "**وود**" يتقدم في الحديقة التي يسودها الظلام ، حتى رأى "**تريد جولد**" و"**بيجوري**" واقفين تحت شجرة لا يصل إليها الضوء المنبعث من نافذة حجرة الاستقبال . ولما لحق بهما سمع صديقه يخاطب المفتش قائلا :

– يجب أن نقوم بهذه المهمة في الظلام ... وفوق هذا لا أريد أن ينبس أحد بكلمة واحدة حينما نشرع في الهجوم ...هل أتيت بمسدسك أيها المفتش ؟ حسنا : وأنت كذلك أيها الكونستابل ؟ بديع .. إذن فاتبعوني .. ولا تتفوهوا بكلمة واحدة .

وساروا في الحديقة حتى نهايتها، ثم خرجوا منها وشرعوا يتقدمون على ضفة الغدير حتى أدركوا الطاحونة المائية ...

ودنا "**تريد جولد**" من باب خشبي مهدم . فنفذ منه إلى داخل الطاحونة وغاب بضع دقائق . ثم رجع وأشار إليهم أن يتبعوه ...

وقد وجدوا أنفسهم في فناء صغير . فهمس "**تريد جولد**" في أذن "**بيجوري**" :

– أرجو أن تأمر "**بيسونيت**" بالبقاء في الخارج والاختفاء بين الأشجار ومنع أي كائن من الخروج .. ولكنه يستطيع أن يسمح لمن يريد بالدخول .

ولما خرج الكونستابل لإنفاذ هذه التعليمات أضاء "**تريد جولد**" مصباحه الكهربي ، فرأوا على نوره عربة صغيرة في أحد جوانب الفناء ، قال :

– لنختبئ وراء هذه العربة .. ولكن أرجوكما التزام الصمت التام حتى أعطي الإشارة .

قال ذلك وأطفأ مصباحه . ووقف ثلاثتهم خلف العربة في ظلام لا يبصرون معه شيئا .

وبينما هم كذلك إذا بهم يسمعون وقع أقدام تدنو من مدخل الفناء ، فتطلعوا بأعينهم وأرهفوا حواسهم ... وما لبثوا أن تبينوا على الرغم من الظلام شبحا ملثما ينفذ إلى داخل الفناء ...

ووقف هذا الشبح الملثم بالقرب من السلم المؤدي إلى الطاحونة . وكمن في موضعه دون أن يبدي حراكا .

وفي ذات اللحظة بدا شبح آخر عند مدخل غرفة الطحن وأطل برأسه إلى الخارج ... ثم أشعل عود ثقاب (كبريت) وعندئذ رأى القوم على ضوء الثقاب وجه "**ماتياس**" الأعور .

وأبصروا به وهو يدني الثقاب من وجهه ويشعل غليونه .

وما كاد الضوء يتلاشى حتى اختفى "الأعور" داخل الطاحونة مرة أخرى .

وفي الحال رأى الثلاثة ذلك الشبح الملثم يبرز من مكمنه بالقرب من السلم . وينفذ إلى الغرفة في أثر "**ماتياس**" ...

وعندئذ وثب "**تريد جولد**" من مكانه وطلب إلى رفيقيه أن يتبعاه ...

وتقدم "**تريد جولد**" إلى غرفة الطحن ... وفي هذه اللحظة سمع القوم من داخل الغرفة صيحة مختنقة ، وصوت تلاحم أجسام ...

وارتفع صوت "**تريد جولد**" من داخل الغرفة وهو يصيح :

– احرسوا الباب . . .

وفي هذه اللحظة أحس "**وود**" بجسم يرتطم به بقوة ، فهوى إلى الأرض ... ولكنه تذكر مصباحه الكهربي فأضاءه .... وإذ ذاك تلاشي صوت اشتباك الأجسام ...

ورأى "**وود**" أنه اصطدم بأخشاب الطاحونة ... فنهض واقفا ... وشاهد "**ماتياس**" الأعور على بعد ثلاث أقدام منه ، والدم يقطر من وجهه ...

وأضيء مصباح كهربي آخر في نهاية الحجرة ، وارتفع صوت "**تريد جولد**" وهو يصيح بالفرنسية قائلا :

– اترك هذا الخنجر . . . وإلا ألهبت رأسك برصاص مسدسي . . .

فهرع "**وود**" إلى مصدر الصوت . فرأى "**تريد جولد**" واقفا في ركن المكان وقد أمسك مسدسه بإحدى يديه وأمسك بالأخرى مصباحه الكهربي وأمامه رجل ضخم الجثة يضع فوق رأسه كيسا من القماش به ثقبان تبدو منهما عيناه .

وقد أخفى يديه تحت قفاز من الجلد وأمسك بإحداهما خنجرا طويلا .

صاح "**تريد جولد**" مرة أخرى :

– دع هذا الخنجر . .

فتردد الرجل قليلا . . على أنه ما لبث آخر الأمر أن ألقى بالخنجر على الأرض وفي الحال وثب إليه "**بيجوري**" وكشف الغطاء عن رأسه . . ووجد القوم أنفسهم وجها لوجه أمام العمدة . . "**جوزيف روفيير**" . .

- 27 -

وثب "**ماتياس**" الأعور وصاح في صوت أجش موجها كلامه إلى العمدة :

– أيها الشقي . . إذن فأنت الذي كنت في غرفة الاستقبال في تلك الليلة . .

وقفز نحوه بخفة النمر ، وغرس أصابعه في عنقه ، وقد زاد الغضب وجهه بشاعة ووحشية .

فهوى "**روفيير**" إلى الأرض ، واصطدم رأسه بالجدار صدمة قوية ، ولولا أن خف الثلاثة إلى نجدته لفتك به "الأعور" .

ودخل "**جاك**" في هذه اللحظة ، واشترك معهم في إنقاذ "**روفيير**" وقد تلوث

وجه هذا الأخير بدم "الأعور" .

قال "**بيجوري**" وهو يحملق إلى "**ماتياس**" :

- هل جرحت ؟!

فأجاب "**جاك**" وهو يتناول الخنجر من الأرض :

- أصبت بخدش خفيف من هذا الخنجر .. لقد كنت أترصد هذا الرجل (وأشار نحو "**روفيير**") كتعليمات السيد "**تريد جولد**" .. ولكنه سبقني إلى دخول الطاحونة واستطاع أن يغيب عن نظري في الظلام ..

وفي هذه اللحظة قدم "**بيسونيت**" . فأمره "**بيجوري**" بأن يضع الأصفاد الحديدية في يدي العمدة . ففعل دون أن يبدي "**روفيير**" أية مقاومة .

ونظر "**روفيير**" إلى "**تريد جولد**" بوحشية وقال له :

- إذن فقد كانت تلك الرسالة التي بعثت بها إليّ الليلة فخا للإيقاع بي ؟

فهز "**تريد جولد**" كتفيه وقال :

- بل قل إنها كانت لمجرد الاختبار .

وقاد "**بيسونيت**" العمدة إلى الخارج . أما "**بيجوري**" فإنه نظر إلى "**تريد جولد**" طويلا ثم سأله :

- وما دور الآنسة في هذا كله ؟

فأجاب "**تريد جولد**" وقد لمعت عيناه :

- إن الفضل في اعتقال هذا المجرم الخطر يرجع إلى ذكائها .

- وكيف ذلك ؟

- إنها تعرف أن "الأعور" كان يتردد كثيرا على الطاحونة وهو حر طليق فلما علمت أنه فر من السجن أيقنت على الفور أنه لن يلجأ إلى غير الطاحونة؛ لأنه لم يكن يستطيع دون شك أن يذهب إلى كوخه .

فحك "**بيجوري**" رأسه وقال :

– كان يجدر بي أن أفكر في ذلك .. وإذن فهي قد كانت في الطاحونة حين حسبنا أنها اختفت أو اختطفت .. وقابلت "الأعور" بالتأكيد ؟ فأومأ "**تريد جولد**" برأسه علامة الإيجاب وقال :

– نعم إنها قابلته .. وعلمت منه أنه رأى رجلا في غرفة الاستقبال حينما رجع إلى القصر ليلة وقوع الجريمة .. ورجوع "**ماتياس**" إلى القصر في تلك الليلة دليل على أنه قد شعر رغم سكره بأن الواجب يقضي عليه بأن ينبئ سيده بأنه لم يستطع الاتصال بمسجل العقود "**بوشيرون**" ... وقد وصل إلى القصر بعد أن ذهبت الفتاة بجدها إلى حجرته وأرسلت "**جاك**" لاستدعاء الطبيب فقال المفتش :

– هذا صحيح .. فقد أخبرني "**باتيس**" بأن "الأعور" غادر حانة "**ليرميت**" عندما دقت الساعة الحادية عشرة .. ومعنى هذا أنه جاء إلى القصر حوالي ..

– ستسمع هذه القصة من "الأعور" نفسه .. بعد أن يزول روعه وعلى كل حال فإنه قال للفتاة : إنه دخل القصر من نافذة المطبخ كعادته وذهب إلى غرفة الطعام للبحث عن سيده . كانت هذه الغرفة مظلمة ، ولكنه رأى ضوءا ينبعث من غرفة الاستقبال .. ووقع بصره على "**آدمز**" ممددا على الأرض والمصباح بالقرب منه فدنا منه ليتحقق من أمره ، وقد قرر أنه بينما كان يدنو خُيّل إليه أن شيئا ما يتحرك قرب الباب ، وسمع وقع أقدام ثقيلة في البهو .. فلم يتريث ليتحقق من طبيعة الموقف بل لاذ بالفرار من نافذة غرفة الطعام وقد استولى عليه فزع شديد ..

– ولكن كيف علمت أن الشخص الذي رآه "الأعور" في القصر ليس

"**بوشيرون**" ؟!

– يقول "الأعور" : إنه سمع صوت وقع خطوات .. وأنا واثق بأن "**بوشيرون**" كان ينتعل حذاء من المطاط وأنه أنكر ذلك فرارا من الشبهات والريب . ومع ذلك فإن "**روفيير**" نفسه هو الذي قطع الشك باليقين ..

– بهجومه الليلة على الأعور .

– نعم .. إنني بعثت إليه برسالة ذكرت له فيها أن الفتاة اتصلت بـ"الأعور" واستخلصت منه الحقيقة ، وهي أنه رأى القاتل في القصر وعرفه .. وأنها على موعد مع "الأعور" في الطاحونة في الساعة العاشرة من مساء اليوم؛ لتستدرجه إلى ذكر اسم القاتل ..

فهتف المفتش :

– صبرا .. صبرا .. أنا لا أعلم قبل الآن أن "الأعور" رأى القاتل في القصر وعرفه... وأصبح في استطاعته أن يرشد إليه ؟!

– إن "الأعور" لم ير وجه القاتل ولم يتعرّفه ...ولكن "**روفيير**" لا يعلم ذلك. فالمسألة إذن كانت خدعة لتخويفه وحمله على القدوم إلى هنا للتخلص من "الأعور" قبل أن يورده موارد الهلكة .

ولذلك فإنني أمرت "الأعور" بالاختباء في الطاحونة حتى إذا كانت الساعة العاشرة خرج من الطاحونة وأطل من بابها ..

لكي يراه "**روفيير**" فيؤمن بأن كل شيء يسير في مجراه الحقيقي .. وليس ثمة أية خدعة ..

وفي ذات الوقت أمرت "**جاك**" بأن يرابض على مقربة ..

لكي يساعد "الأعور" فيما إذا هاجمه "**روفيير**" .

فهز المفتش رأسه وقال :

– ولكن على فرض أن "**روفيير**" رأى "الأعور" بباب الطاحونة وأطلق عليه النار فصرعه .. فماذا يكون ؟

فأجاب "**تريد جولد**" على الفور :

– إن "**روفيير**" لم يكن ليقدم على هذه المجازفة .. فهو يعلم أن رجال البوليس يرابطون في القصر وأن القصر قريب من هنا .. فإذا استعمل المسدس أو البندقية سمع رجال البوليس دوي الطلق الناري ، فكان من الطبيعي إذن أن يلجأ إلى استخدام السكين أو الخنجر .. مادام في استطاعته أن يصل بأحدهما إلى النتيجة التي يصل إليها فيما إذا استخدم المسدس .

فأطرق المفتش برأسه لحظة ثم سأل :

– ولكن .. إذا كان "**روفيير**" هو القاتل .. فلماذا بقي في غرفة الاستقبال بالقصر بعد أن ارتكب الجريمة بربع ساعة على الأقل ... حتى دخل عليه "الأعور" وسمع وقع خطواته ؟

– إذا طلبت رأيي الشخصي في هذه النقطة فإنني أعتقد أن "**روفيير**" رجع إلى مكان الجريمة، ليستولي على الحربة التي قُتل بها "**آدمز**" ؛ لأن "**روفيير**" من نوع المجرمين الأذكياء الذين يحرصون على ألا يتركوا وراءهم أثرا يدل عليهم، ويرشد إليهم . على أنه إذا كان قد ترك الحربة أولا بعد أن قتل "**آدمز**" فلابد أنه فعل ذلك مكرها . كأن يكون السيد "**هكتور دي سان ريمي**" قد فاجأه وهو يرتكب الجريمة ... فتوارى المجرم في الحال .. أما الشيخ العليل فقد أذهله المنظر وهز أعصابه .. وكان سببا في النوبة القلبية التي قضت على حياته. على أن "**روفيير**" عندما عاد إلى غرفة الاستقبال بعد ذلك ليستولي على الحربة.. رأى "الأعور" بجوار الجثة فلاذ بالفرار .

– ولكن .. بقي أن نعلم لماذا ذهب إلى القصر في تلك الليلة ؟ إننا نعرف

حركات أبطال هذه المأساة وسكناتهم في ليلة الجريمة ماعدا هذا الرجل؛ لأننا أسقطناه من حسابنا منذ البداية .

– أعتقد أنني الذي كنت سببا في ذهابه إلى القصر في تلك الليلة . .

فحملق المفتش إلى وجهه وهتف :

– أنت ؟!

فضحك "**تريد جولد**" وتأبط ساعد "**بيجوري**" وقال :

– هذه قصة طويلة تستغرق وقتا طويلا وسوف أسردها عليك في فرصة أخرى .

الخاتمة

عاد "**بيجوري**" إلى المصيف حول منتصف الليل ... بل لقد خُيِّل إليه كأن نزلاء المصيف جميعا كانوا في انتظاره وقصد لتوه إلى كبينة "**تريد جولد**" .. وهناك وجد الجميع في انتظاره لمعرفة النتيجة .

وقد أسرع "**بيجوري**" في الحال إلى "**تريد جولد**" وضمه إلى صدره . وقبله وهو يصيح :

– يا سيد "**تريد جولد**" .. إنك رجل عظيم .

فضحك "**تريد جولد**" وقال :

– إنني مررت في حياتي بكثير من التجارب .. ولكن هذه أول مرة أجرب فيها قبلات رجال البوليس .... ولكن ما سر اغتباطك أيها الصديق . هل اعترف العمدة ؟!

– لا .. قلت لك : إنه ليس من طراز المجرمين الذين يعترفون بسهولة بيد أن الأدلة على إدانته كثيرة .. وقد وجدت في (الجراج) كمية كبيرة من التحف الثمينة المسروقة من القصر ..

فهتف "**تريد جولد**" :

– آه ! هذه نتيجة لم أكن أتوقع أطيب منها ..

– كذلك وجدت كميات كبيرة من المشروبات الروحية المهربة .. ولابد أن الشقي كان يتجر بهذه المشروبات بالاشتراك مع "**ليرميت**" نفسه .. ومما لا شك فيه أن خلافا شجر بين الشريكين وأن "**ليرميت**" هدد بالاعتراف لإنقاذ "الأعور" ففتك به العمدة ثم حمل الجثة في سيارته وألقاها على قارعة الطريق. والآن .. قد جاء دورك لتذكر ما عندك يا صاحبي ..

فقال "**تريد جولد**" وهو يشعل غليونه :

– نعم .. إن هناك بعض تفاصيل يجب ذكرها قبل أن نطوي سجل هذه القضية.. فقد أثار "**روفيير**" شكوكي وريبتي منذ قابلته لأول مرة بشأن طوابع البريد .. ذلك أنه ذكر أن هذه الطوابع منزوعة من رسائل وردت إلى زوجته من أهلها في مختلف بلدان العالم ... وقد فكرت في ذلك فيما بعد وأدهشني أن يكون لزوجته أقارب في مختلف أنحاء العالم .. في حين أن جميع الدلائل تدل على أنها ريفية، وأن أهلها يجب أن يكونوا ريفيين ومن أهل هذه البلاد .. ومما ضاعف ريبتي في هذا الرجل أنني التقطت من أرض حانوته أمس غلافا نزعت منه طوابع البريد . وكنت أريد قصاصة ورق لأسجل عليها عدد الطوابع البريدية التي أعطانيها أمس . فوقع بصري على هذا الغلاف فالتقطته . وفحصته فيما بعد .. فرأيت تحت المكان المفترض أن الطوابع نزعت منه بقايا حروف مطبوعة ... وفهمت من هذه الحروف أن الغلاف كان يحمل اسم أسرة "**سان ريمي**" .. وشعارها .. وأن الذي نزع الطوابع قد غاب عنه أن يتلف تماما الأسم المطبوع على الغلاف ..وعندئذ تبينت لي الحقيقة بكل وضوحها . وهي أن الطوابع البريدية قد نزعت عن رسائل تُبودلت بين أعضاء أسرة "**سان ريمي**" .. وأن هذه الرسائل لابد كانت محفوظة في القصر المهجور إلى أن امتدت إليها يد "**روفيير**" .

ومما ضاعف شكوكي وريبتي أنني عندما ذهبت إلى "**روفيير**" أمس وجدت أنه في شغل في (الجراج) فنظرت عند انصرافي في داخل الجراج ورأيت من الأدوات ما دلني على أن "**روفيير**" كان يشتغل قبل قدومي باستبدال إطارات سيارة قديمة تشبه من كل الوجوه سيارة "**بوشيرون**" .. ولم أكن قد رأيت العمدة في تلك السيارة . فأدركت أنه يستخدمها في نقل الخمور المهربة .. وفي أغراضه الجنائية ..

فسأله المفتش :

هل تعتقد أن "**روفيير**" قد سطا على الرسائل التي كانت أسرة "**سان ريمي**" تحتفظ بها في القصر ؟!

– نعم .. ولكن أظن أنه وقع على التحف الأثرية بطريق المصادفة وأنه كان يتردد على القصر كثيرا وخلسة .. ولعله كان يبحث عن غنائم جديدة .. وذلك في اعتقادي هو سر الأصوات الغامضة التي كانت تسمع في القصر من وقت لآخر. كذلك أعتقد أن حارس الطاحونة رآه أو ضبطه مرة وهو منطلق ببعض غنائمه ففتك به ليأمن الوشاية .

– ولكن بم تفسر وجوده في القصر في ليلة الجريمة ؟

– قلت لك إنني الذي بعثت به إلى هناك .. ولكن دون قصد وذلك أنني أفهمته أنني بحاجة إلى المزيد من طوابع البريد . وشجعته بالمال في الصفقة الأولى .. فأغراه الربح بمحاولة الحصول على طوابع جديدة فقصد إلى القصر ودخله خلسة ؛ ليسطو على المزيد من رسائل الأسرة وقد علمت من "**جاك**" أن هذه الرسائل كانت محفوظة في صندوقين كبيرين بإحدى غرف القصر ، على أن أهم أثر عثرت عليه .. كان ذلك الغلاف الذي وجدته في حانوته أمس وقد فكرت في الأمر طويلا .. فهداني التفكير إلى فهم الكثير من الحقائق المبهمة التي صادفتنا حتى الآن .. وفي مقدمة هذه الحقائق: وجود قوة خفية تعمل على إبعاد أهم الشهود، والتخلص منهم، وإثارة الشبهات حول أكثر من شخص واحد، ومحاولة إدانة "الأعور" بأي ثمن، وأخيرا، تلك الرصاصة التي أطلقت أمس على الدكتور "**جورج وود**" . وفي اعتقادي أن ذلك الشقي شعر باهتمامي بمعرفة الحقيقة وبأنني في طليعة الذين يعتقدون ببراءة "الأعور" .. فتبعني بعد أن تركت حانوته أمس، وتربص لي في المصيف..

حتى إذا رأى الدكتور "**وود**" – وكان قد ارتدى معطفي ليقيه ماء المطر –

حسب أنه يراني فأطلق عليه الرصاص .

– ولكنك لم توضح لنا كيف قتل "**آدمز**" ؟

– يحتمل أن يكون "**آدمز**" والسيد "**هكتور دي سان ريمي**" قد تحدثا في صدد ريع الأملاك كما ذكر "**بوشيرون**" ولكني أعتقد أن الشيخ عندما صاح بأنه (سُرق) إنما كان يشير إلى التحف الأثرية الثمينة .. وأنه خرج من الغرفة بعد ذلك ليصعد بـ"**آدمز**" السلم ويدله على المخبأ الخالي .. فتبعه "**آدمز**" والمصباح في يده .. أما "**روفيير**" فأعتقد أنه دخل القصر في تلك الليلة وهو لا يعلم بأن الشيخ والفتاة قد عادا إليه .. وهذا يدلنا على أنه اعتاد دخول القصر من غير الأبواب . والذي أفترض وقوعه .. هو أن يكون "**روفيير**" قد سمع الجلبة والضجة التي قامت بين "**آدمز**" والشيخ فدفعه الفضول إلى استطلاع الخبر. ووقف بباب غرفة الطعام .. حيث كان الرجلان .. وراح ينصت إلى حديثهما . وفجأة فُتح الباب وخرج منه الشيخ .. فرأى "**روفيير**" .. وكانت المفاجأة شديدة وغير منتظرة .. فذعر الشيخ وأصابته تلك النوبة القاتلة . أما "**روفيير**" فإنه لاذ بالفرار إلى غرفة الاستقبال .ومن المرجح أن يكون "**آدمز**" قد استولى عليه الذعر بعد الذي أصاب "**هكتور دي سان ريمي**" .. فاندفع بدوره إلى غرفة الاستقبال والمصباح في يده فوضعه على الأرض وأجال الطرف حوله .. عسى أن يجد في الغرفة من يستنجد به .

ومن المؤكد أن "**روفيير**" خاف أن يؤخذ كالفأر وأن يقطع عليه "**آدمز**" سبيل الفرار .. فمد يده وتناول الحربة بيده المقفزة .. وقتله بها .. ذلك هو التعليل الوحيد المعقول للجريمة ..

تمّت بعون الله